الباب الثاني

الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة فى عصر المرابطين والموحدين

obeikandl.com

obeikandl.com

العوامل المؤثرة فى الحياة الاقتصادية

تقدمت الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة خلال عصر المرابطين والموحدين على أثر ما أبداه المرابطون وخلفاؤهم الموحدون من حرص على النهوض بالمغرب والأندلس فى شتى المجالات، فزاد الإنتاج الصناعى والزراعى والتجارى وتدفقت الأموال وارتفع الدخل العام للبلاد،(١) وقد عبر ابن أبى زرع عن الرخاء الذى تمتعت به البلاد فى ظل المرابطين فقال: «وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن تناها القمح فى أيامهم إلى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال»(٢).

وقد أشار المراكشى فى كتابه المعجب إلى مدى الرخاء والازدهار الذى كانت تنعم به البلاد فى عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بقوله «ولم تزل أيام أبى يعقوب هذا أعيادا وأعراسا ومواسم كثيرة خصب، وانتشار أمن، ودرور أرزاق واتساع معايش، لم ير أهل المغرب أياما قط مثلها واستمر هذا صدرا من إمارة أبى يوسف»(٣).

كانت بعض هذه العوامل طبيعية تتعلق بإقليم غرناطة(٤) نفسه، والبعض الآخر عوامل

---

(١) ابن المؤقت: محمد بن محمد بن عبد الله: السعاة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية: جزءان ـ طبع حجر ـ مراكش، ١٣٣٥ هـ جـ ٢، ص ٨٩، ابن القاضى أحمد بن محمد: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس: طبعة حجر، سنة ١٣٠٩ هـ، ص ٣٤٨، السلاوى: الاستقصا فى أخبار دول المغرب الأقصى: جـ ٢، ص ٤٨، «يذكر ابن خلدون فى مقدمته «أن بلاد المغرب والأندلس فى عهد الموحدين» كانت متسعة وجباياته موفورة» ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨١، ص ٣٦٧، النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٢ مخطوط مجلد ٢، ص ٢٠٢ S.P Scott, History of Moorish Empire, p. 239

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٧.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٣٣٠، طبعة ١٩٦٣.

(٤) عن طبيعة إقليم غرناطة وثرواته الطبيعية سواء الزراعية أو المعدنية انظر الإدريسى: نزهة المشتاق: طبعة (د) ص ٢، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: ص ١٤٢، ١٤٣، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، ص ٩٩ وما بعدها، اللمحة البدرية: ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٩، ص ١١١، ص ١٩٢، ياقوت: معجم البلدان: جـ ٥ مادة غرناطة، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٤٨، ص ١٤٩، ص ١٧٧.

سياسية طرأت على الإقليم بدخوله فى حكم المرابطين ومن بعدهم الموحدين[١] بسياستهم الجادة فى تشجيع النشاط الاقتصادى والاهتمام بالزراعة والصناعة والتجارة.

العوامل الطبيعية:

شهد إقليم غرناطة تقدمًا كبيرًا فى النشاط الاقتصادى بسب طبيعة الإقليم ذاته وما تميز به من خصوبة أراضيه وكثرة أنهاره التى ساعدت على قيام زراعة ناجحة فى قرى ومدن الإقليم، بالإضافة إلى وفرة المادة الخام فقامت صناعات كثيرة واردهرت، هذا إلى جانب شبكة الطرق البرية والبحرية التى ربطت قرى إقليم غرناطة ومدنه بعضها ببعض كما ربطت الإقليم بسائر أقاليم الأندلس إلى جانب الطرق التى ربطت بين إقليم غرناطة والعالم الخارجى.

ففى مجال الزراعة، تمتع إقليم غرناطة كما سبق أن ذكرت بسطح متميز وتربة خصبة وأنهار متعددة ساعدت على ازدهار الزراعة ويؤيد ذلك وصف الحميرى لإقليم غرناطة إذ قال: «وفحص البيرة[٢] ـ وهى أصل غرناطة ـ أزيد من مسافة يوم فى مثله يصرفون فيه مياه الأنهار كيف شاءوا كل أوان من جميع الأزمان وهو أطيب البقاع وأكرم الأرضين تربة ولا يعدل به مكان غير غوطة دمشق وشارحة الفيوم، لا تعلم شجرة تستعمل وتستغل إلا وهى أنجب شىء فى هذا الفحص»[٣].

ولعل خصوبة إقليم غرناطة ووفرة مزروعاته[٤]، وثراء سكانه كانت من الأسباب التى

---

(١) عن دخول إقليم غرناطة تحت حكم المرابطين ثم الموحدين انظر الباب الأول ص ٢٠، ص ٣٣.

(٢) الفحص هو البسيط الأخضر وقد سبق التعريف به عن فحص غرناطة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٩ هامش ١، ٢، ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة: ص ١٨٧ هامش ٣، طبعة ١٩٧٩، العراق.

(٣) الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣.

(٤) عن خصوبة إقليم غرناطة انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، ص ٩٩، اللمحة البدرية، ص ٢٥، المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٢٣٥ ليدن سنة ١٩٠٩ م، ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، جـ ٢ ص ١٠٢، ص ١٠٣، ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٨، ياقوت: معجم البلدان: جـ ٥ مادة غرناطة، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٤٨، ص ١٤٩، ص ١٧٧.

دعت نصارى غرناطة[١] إلى استدعاء ابن رذمير (ألفونس الأول ملك أراغون) لغزو غرناطة وتملكها إذ أطمعوه فيها لما لها من «الفضائل على سائر البلاد وكثرة فوائدها من القمح والشعير والكتان وكثرة المرافق[٢].

كما يضيف ابن الخطيب «ومن كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة ورعى بعد رعى طوال العام»[٣] ويصفها العمرى فى كتابه مسالك الأبصار بقوله وهى ـ أى غرناطة ـ «كثيرة المطر والأنهار والبساتين والشجر والفواكه ولها نهران شنيل وحدرة»[٤].

وهكذا وُصِف إقليم غرناطة بأنه تربة خصبة وأودية طويلة تخترقها الأنهار وترويها الأمطار وساعد ذلك كله على تعاقب الزراعة فى هذا الإقليم طوال العام، ومن أهم هذه الأنهار نهر شنيل الذى ينبع من جبل شلير ويتدفق عندما تذوب الثلوج فيغذى الأودية[٥] ويروى البقاع، وكان جبل شلير مصدرًا هامًا للمياه عندما تذوب الثلوج التى تغطيه طوال العام فيتفرع منه أنهار وجداول صغيرة[٦]، بالإضافة إلى نهرى حدرة[٧] والمنصورة[٨]،

(١) يسميهم ابن الخطيب بالمعاهدة، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٠٩ ـ ص ١٤٤، عن حملة ابن رذمير واستدعاء نصارى غرناطة له، انظر ابن عذارى: البيان المغرب: جـ٤ ص ٦٩، ص ٧٠ وما بعدها، مجهول: الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية: تحقيق عبد القادر زمامة ص ٩١.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية: ص ٢٢.

(٤) العمرى: مسالك الأبصار: وصف أفريقية والأندلس ص ٣٤، ص ٣٥ عن شنيل وحدرة، انظر: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٩٠ هامش ٤، ص ١٩١ هامش ٣، شكيب أرسلان: الحلل السندسية: ص ١٢٩.

(٥) محمد بن على الشباط: صلة السمط المعروف باسم تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، استخرج الجزء الخاص بالأندلس أحمد مختار العبادى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد ١٤ طبعة سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨، ص ١١٣، ص ١١٤، طبعة سنة ١٩٧١ ص ١٤٠، ص ١٤١، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ١ ص ١١٧، ص١١٨ الحميرى: الروض المعطار: ص٢٣، ص١٢٢.

(٦) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١٤٠، ص ١٤١، تحقيق إسماعيل العربى، طبعة الجزائر، سنة ١٩٨٢ م، ابن الشباط صلة السمط المعروف باسم الاكتفاء، ص ١٤٥، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٣٤، ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص٢١٤، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٦، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٣، الإدريسى: نزهة المشتاق: (ط.د) ص ٢٠٣.

(٧) العمرى: المصدر السابق: ص ٣٧، القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٥، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٩٠ هامش رقم ٤.

(٨) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: ص ٣٤، حاشية رقم ٨.

(3) Simonet: Discription del Reino de Granada: P. 111.

وشهد إقليم غرناطة أنهارًا موسمية مثل وادى المرية[١] الذى يفيض شتاءً ووادى مالقة الذى يفيض فى الربيع[٢]، وبالإضافة إلى الأنهار والأودية التي ذكرت وجدت فى إقليم غرناطة العيون أيضا[٣] وأسهمت هذه العيون والأنهار والأودية وكذلك الأمطار فى جعل إقليم غرناطة إقليمًا خصبًا صالحًا للزراعة طوال العام[٤].

وقد توفرت لإقليم غرناطة أيضًا المادة الخام التى ساعدت على ازدهار الصناعة فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين.

فقامت عدة صناعات أهمها صناعة النسيج[٥] وصناعة السفن[٦] وصناعة بعض الأدوات من النحاس والحديد[٧]، بالإضافة إلى عدة صناعات أخرى سنذكرها فيما بعد.

وقد اشتهر إقليم غرناطة بإنتاجه الوفير من المعادن مثل الذهب والفضة والحديد

---

(١) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٦، القلقشندى: نفس المصدر: جـ ٥ ص ٢١٧.

(٢) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ١، ص ٤٢٣.

(٣) العمرى: نفس المصدر: ص ٣٥، القلقشندى: نفس المصدر: جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: نفس المصدر، ص ٢٣، ص ٤٥.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية، ص ٢٣.

(٥) ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٣، الإدريسي: نزهة المشتاق: (ط. د) ص ١٩٧، ياقوت: معجم البلدان، جـ ٥ ص ١١٩، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا: تحقيق إسماعيل العربى، ص ١٤٠، الطبعة الثانية، الجزائر، سنة ١٩٨٢، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب ١ ص ٤٢٤، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٥، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٥، ص ٢١٧، ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٣٠١، ص ٨٢، هامش رقم ٢، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٨، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٤، ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٧٨، ص ١٨٧، جـ ٤ ص ٣٠٦، طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ٣، طبعة بيروت ص ٢١٩، ص ٢٢١.

(٦) القلقشندى: المصدر السابق، جـ ٥ ص ٢١٧، ص ٢١٨، العمرى: المصدر السابق ص ٤٥، ص ٤٧، الحميرى: المصدر السابق، ص ١٨٦، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ص ١٩٦، هامش رقم ٢ طبعة ١٩٧٩، العراق.

(٧) ابن سعيد: الجغرافيا، ص ١٤٠، الإدريسى: نزهة المشتاق، (صفة المغرب) ص ١٩٧، ص ١٠٢، العمرى: وصف أفريقية، ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٩، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٤، ص ١٨٤.

والرصاص والنحاس[١] بالإضافة إلى معدن المرقشيتا[٢] واللازورد[٣] والملح[٤] والياقوت الأحمر[٥] وذلك فضلاً عن مقاطع الرخام التى تستخرج من البيرة[٦].

وإلى جانب العوامل الطبيعية السابقة التى تمتع بها إقليم غرناطة وساعدت على ازدهار كل من الزراعة والصناعة كان للطرق التجارية أثر فى إنعاش حركة التجارة الداخلية والخارجية، فقد تمتع إقليم غرناطة بشبكة من الطرق البرية ربطت بين مدن الإقليم داخليًا وخارجيًا[٧] بالإضافة إلى الطرق البحرية[٨] وكثرة موانى الإقليم كالمرية والمنكب ومالقة[٩] التى كانت تخرج منها الأساطيل التجارية محملة بالبضائع آتية إليها بما تحتاجه البلاد فانتعشت التجارة الداخلية والخارجية.

وهكذا كان للعوامل الطبيعية أكبر الأثر فى إنعاش الاقتصاد وتقدمه فى إقليم غرناطة.

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية، ص ٢٢، الحميرى: المصدر السابق، ص ٢٤، على بن يوسف الحكيم (أبو الحسن) الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة، تحقق حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠، ص ٨٥.

(٢) «المرقشيتا أو المرقشيطة: هو حجر ذو خواص طبية يغلب على الظن أنه البزموت وذكر ابن سينا أنه يوجد على أنواع مختلفة ذهبى وفضى ونحاسى وحديدى كل صنف يشبه الجوهر الذى إليه فى لونه» راجع أبى الحسن على بن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٦٠ م، ص ٢٦، حاشية ٩، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٦٧، ص ٥٦٠ حاشية رقم ١.

(٣) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢٨٣، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٨.

(٤) ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٨٢، هامش ١.

(٥) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٥٨، طبعة سنة ١٩٤٩.

Scott: Hist. of the MoorishEmpie, Vol. 111, P. 628.

(٦) ابن غالب: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) عن الطرق البرية (الداخلية والخارجية) انظر ص.

(٨) عن الطرق البحرية انظر ص ١٥١.

(٩) عن موانى إقليم غرناطة انظر الإدريسى: نزهة المشتاق (صفة المغرب والأندلس) ص ١٩٧، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١٤٠، ص ١٤١ طبعة سنة ١٩٨٢ م، العذرى: نصوص عن الأندلس، ص ٨٦، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، جـ ١ ص ٤٢٢، ص ٤٢٣، جـ ٢ ص ١٨٩ ـ ص ١٩٢، ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص ٢٩، العمرى (وصف أفريقية والأندلس) ص ٤٥ إلى ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٧.

العوامل السياسية:

أما العوامل السياسية فقد لعبت هى الأخرى دورًا هامًا فى ازدهار الاقتصاد فى بلاد المغرب والأندلس عامة وإقليم غرناطة خاصة، فقد أثرت سياسة أمراء المرابطين وخلفائهم الموحدين فى ازدهار النشاط الاقتصادى سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة، فأسهموا فى رفع مستوى الإنتاج فى البلاد سواء فى المغرب أو الأندلس، فوفروا الأمن والطمأنينة للسكان وقضوا على الفتن والحروب[١] ونقلوا الصراع إلى أرض نصارى أسبانيا، ووفروا لرعاياهم قدرًا كبيرًا من الأمان[٢]، وبالأمن والاستقرار الذى أشاعه المرابطون استطاع السكان استثمار الأرض[٣] ومضاعفة الإنتاج الزراعى، إذ أن شعور المزارع بالأمن والاستقرار دفعه إلى زيادة الإنتاج لشعوره أن ثمرة جهده لن تضيع عبثًا فعمل على تنمية الإنتاج ومضاعفته[٤].

وكان المزارعون هم أكثر الناس تضررًا بالاضطرابات والحروب الداخلية المستمرة قبل عهد المرابطين، فإذا نشبت حرب بين أميرين فإن من الوسائل المتبعة ضد الطرف الآخر

---

(١) كانت الحروب بين مسلمى الأندلس ونصارى أسبانيا منذ أيام المنصور بن أبى عامر قائمة على انتساف الزروع فى مواسمها واشتد ذلك فى أيام ملوك الطوائف، انظر ابن الكردبوس، الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، ص ٦٤، ص ٦٥، ص ٧٨، عبد الله بن بلقين: التبيان، ص ١٠١، محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص ١٣٩، ص ١٤٠ ـ المجلدان السابع والثامن طبعة سنة ١٩٥٩ ـ سنة ١٩٦٠ الحميرى: الروض المعطار، ص ٩٢.

(٢) عن المعارك بين المرابطين ونصارى أسبانيا انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٤٦، ص ١٤٨، ص ١٥٦، ص ١٥٧، ص ١٥٩، ص ١٦٠، ص ١٦١، ص ١٦٤، طبعة دار المنصور، ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، القسم الثالث، المجلد الأول، ص ١٠١، ابن القطان: نظم الجمان، ص ٥، ص ٦، ص ١٠، ص ١٣، ص ١٤، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ ص ٥٠، ص ٨٠، ص ٨١، ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص ١١٤، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ٦١، مكى: وثائق تاريخيه، ص ١٥٧.

(٣) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٠٢، ص ٤٠٤.

(٤) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٤٠٤.

حرق المزارع وتخريب البساتين التى تقع خارج أسوار المدن[١] وكذلك كان نصارى أسبانيا إذا أغاروا على البلاد الإسلامية لا يترددون فى إحراق البساتين وإتلاف الزروع[٢].

وما حدث للزراعة، حدث للتجارة، فقد استطاعت دولة المرابطين بعد أن نجحت فى التوحيد بين أقاليم المغرب والأندلس أن تقر الأمن والسكينة فى ربوعه كما سبق أن ذكرنا[٣]، ففى العصر المرابطى الأول قبل معركة أقليش[٤] (٥٠١هـ/ ١١٠٨م)[٥] استطاع

---

(١) ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة: القسم الثانى، المجلد الأول، ص ٣٥، تحقيق إحسان عباس، سنة ١٩٧٨.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٨٠، ص ٨١، ص ٨٤ وما بعدها، ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٩٧، ص ٢٠٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٠، ص ١٦١، ص ١٦٢، ص ١٦٣، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ ١٠ ص ٥٨٦، عن حملة ابن رذمير على غرناطة وإحراقه الزروع انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٦ ـ ص ١٤، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧١ وما بعدها، أمبروسى هويش ميراندا: على بن يوسف وأعماله فى الأندلس، مجلة تطوان، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، العدد ٣ ـ ٤، ١٩٥٨ م ـ ١٩٥٩ م، ص ١٧٢.

(٣) كانت الأندلس فى عهد ملوك الطوائف يقطعون السبل فى البلاد الأندلسية، عن ذلك انظر عبد الله ابن بلقين: التبيان: ص ٩٥ وما بعدها.

(٤) «مدينة لها حصن فى ثغر الأندلس، وهى قاعدةُ كور شَنْتَبريه، وهى... مربعة منحوتة مستويةُ الأطراف» انظر الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٨.

(٥) يذكر عز الدين موسى فى كتابه النشاط الاقتصادى «أنه يمكن التمييز بين دورين فى تاريخ المرابطين، انتهى الدور الأول فى عصر المرابطين عقب معركة أقليش Ucles ٥٠١ هـ ـ ٥٠٢ هـ، (١١٠٨ ـ ١١٠٩ م) ثم تلاه دور آخر عجز فيه المرابطون عن حماية الزراعة واختل الأمن فعجزوا عن رد غارات نصارى أسبانيا، عز الدين موسى: المرجع السابق: ص ١٥٨، عن معركة أقليش انظر: ابن القطان: نظم الجمان: ص ٥، ص ٦، ص ٧، ص ٨، ص ٩، ص ١٠، انظر نص الرسالة التى وجهها تميم بن يوسف إلى أخيه، انظر عن ذلك حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلسى فى عصر المرابطين وسقوط سرقسطة فى أيدى النصارى سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م مع أربع وثائق جديدة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد الحادى عشر، الجزء الثانى، ديسمبر سنة ١٩٤٩ م ص ٩١ ـ ص ١٤٣ وهى الموقعة التى نشبت بين المرابطين والنصارى وانتهت بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة ومصرع ابنه الأمير شانجة، عن ذلك انظر أيضا أمبرسيو هويشى ميراندا «عن المعارك الكبرى فى حرب الاسترداد المسيحية» =

المرابطون أن يحفظوا الأمن وأن يقروا السكينة فسهروا على حماية الطرق وتأمين مسالكها[١] وضبط الثغور[٢] وذلك بنقل الصراع إلى مناطق نصارى أسبانيا[٣] وبناء القلاع والحصون والأسوار[٤] حول المدن مثل المرية[٥] وغرناطة[٦]، وتشييد الرباطات والمحارس الساحلية فى غرناطة وغيرها من المدن الساحلية سواء فى بلاد المغرب أو الأندلس وذلك لحمايتها من الغارات البحرية التى كان يقوم بها الأعداء[٧]، وكانت هذه الرباطات مزودة بمنائر عرفت باسم الطلائع[٨].

= حيث يخص معركة أقليش ببحث مفصل، وقد ترجم هذا البحث إلى العربية ونشر تحت عنوان «واقعة أقليش وم صرع الأمير شانجة» مجلة تطوان، العدد الثانى، سنة ١٩٥٧، ص ١١٥، ص ١٣٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٩، ص ١٦٠، ص ١٦١، طبعة دار المنصور، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس: ص ١١٤، ص ١١٥، طبعة سنة ١٩٧١، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد.

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٠٠، طبعة أوبسالة ١٨٤٣ م، وطبعة دار المنصور، ص ١٦٧.

(٢) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٥٩، طبعة دار المنصور.
المراكشى: المعجب: ص ٢٢٦، طبعة ١٩٦٣.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٤، محمود على مكى: «وثائق جديدة» ص ١٥٧، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ ص ٥٢، ص ٥٧، ص ٦٢، ص ٦٤.

(٤) ابن عذارى: المصدر السابق، جـ ٤ ص ٧٣، ص ٧٤، ص ٧٥، ص ٧٦.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق: يذكر ابن عذارى ما نصه: وتولى النظر فى أسوار المرية رجل منهم يعرف بابن العجمى، من أصحاب ابن ميمون، فأخذ بالحزم واستكثر بالسياسة والعزم، ولم ينفق شيئًا من المال إلا فى موضعه، ولا استعان إلا بمن جد فى نصحه، ورأى الناس ذلك فتساهلوا فى الأداء وتواصلوا حمل الأعباء، فكمل السور على واجبة من «التحصين والتحسين» ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٧٤.

(٦) ابن عذارى: المصدر السابق، نفس الصفحة (ص ٧٣، ص ٧٤).

(٧) ففى هذا يقول الصوفى الغرناطى: ابن أبى زمنين «رأيت أهل العلم يستحسبون التكبير فى العساكر والثغور والرباطات عند صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيراً عالياً ثلاث تكبيرات، ولم يزل ذلك من شأن الناس قديما» انظر ابن أبى زمنين كتاب قدوى الغارى، ورقة ٢٩، مخطوط رقم ٥٧٥، المكتبة الوطنية بمدريد.

(٨) Dozy: Suppl. 11, P. 55

فأمن المرابطون بأسطولهم البحرى حركة النقل التجارية فى البحر[١] وألغى المرابطون جميع أنواع الضرائب التى فرضها ملوك الطوائف[٢] من قبل واقتصروا على الزكاة والعشر[٣]، ثم تبدل هذا الوضع تدريجيًا بعد معركة أقليش (٥٠١هـ/ ١١٠٨م) أى فى الفترة الثانية من حكم المرابطين حينما تحول الجيش المرابطى فى الأندلس من الهجوم إلى الدفاع، وبلغت إغارات نصارى أسبانيا مداها بقيام حملة ابن رذمير على غرناطة[٤] وما تلا ذلك من اندلاع الثورة الموحدية[٥] وضعف المرابطين فى مواجهتها فانعدم

(١) عن قوة الأسطول المرابطى انظر: الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) ص ٥٥، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، سنة ١٩٧١ م، ص ١٢٣، ص١٢٤، ونفس الصفحات طبعة ١٩٦٥، ١٩٦٦ م، ابن خلدون: العبر المقدمة: ص ٢٥٥، طبعة بيروت، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٩٧، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤٠١، سيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادى: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، ص ٢٣٨ وما بعدها، بيروت، سنة ١٩٦٨،

Torres Balbas: Atarazanas Hispano Musulmans, "Al - Andalus", 1946, Vol. XI, Fasc. 1, P 184.

أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، ترجمة عبد الله عنان، جـ ٢ ص ٢٣٧.

Aly Mohamed Fahamy: Muslim Sea - Power in the Eastern Mediterranean, P. 128

(٢) كان ملوك الطوائف يفرضون قبالات على كل ما يباع فى الأسواق: ابن النغريلة ص ١٧٦، ص ١٧٧.

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان، ص ١١٩، ص ١٢٠، ص ٣٤٠، ص ٣٤١، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٠٨، سنة ١٩٤٩ م، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٧، طبعة دار المنصور، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ٥٤، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٤٠٣، ص ٤٠٤، ص ٤٠٨، عن الضرائب انظر النظم المالية: ص؟

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٠٦ ص ١١٤، مجهول: الحلل الموشية، ص ٩١، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ ص ٦٩ وما بعدها، عن ضعف المرابطين أمام الخطر النصرانى انظر ابن القطان: نظم الجمان، ص ١١١ وما بعدها، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٨٧ وما بعدها، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ٩٧، سيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، العصر الإسلامى، ص ٧٤٠.

(٥) عن ظهور الموحدين وأثره على دولة المرابطين انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٤٦، ص ٢٥٥، ص ٢٥٩، ابن تومرت: أعز ما يطلب: مشتمل على جميع تعاليق الإمام محمد بن تومرت مما أملاه أمير المؤمنين ابن عبد المؤمن على الجزائر، سنة ١٩٠٣ م ١٣٢١ هـ، ص ٢٥٨ ـ ص =

الأمن[١] على النفس والمال فى البر والبحر، ولم يستطع الناس حماية مزروعاتهم[٢]، كما كثرت حوادث قطع الطرق على المسافرين من التجار[٣] وعجز الأسطول المرابطى عن حماية السواحل المغربية والأندلسية وأصبحت الموانى الأندلسية عرضة لهجمات أساطيل المدن التى تحالفت مع نصارى أسبانيا، فضُرب مركز التجارة المرابطية البحرى الرئيسى فى المرية سنة ٥٤٢هـ[٤]، يقول صاحب المعجب «وأما أهل المرية فأخرجوا من كان عندهم

= ٢٦٦، البيذق: أخبار المهدى ابن تومرت، الرباط، ١٩٧١، ص ٣٥، مجهول: الحلل الموشية، ص ١١٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٨٧ ـ ص ١٩١، طبعة دار المنصور، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ٦٦ وما بعدها، ص ٩٧، ص ٩٨، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس: عصر المرابطين، ص ٢٧٣، عبد الله علام: الدعوة المغربية بالمغرب، القاهرة ١٩٧٨ نشر دار المعارف ص ١٨٠ ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٧، ص ٣٤٦.

(١) ومما يدل على اختلال الأمن فى العصر الثانى من حكم المرابطين ما يذكره المراكشى فى كتابه المعجب حيث يقول «واختلت حال أمير المؤمنين بعد الخمسمائة، اختلالاً شديداً فظهرت فى بلاده مناكر كثيرة وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد... واستولى النساء على الأموال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور» من هذا النص يتضح أنه كثرت حوادث قطع الطرق بسبب ظهور قطاع الطرق الذين هددوا أمن وسلامة التجار، وهو ما يذكره أيضا ابن عذارى فى البيان، عن ذلك انظر ابن عذارى: البيان جـ ٤ ص ٩١، ويذكر ابن بشكوال فى كتابه الصلة، أن ابن عبد الله الصقلى ويكنى أبا عبد الله دخل غرناطة وسلب فى طريقها، وأخذ الناس عنه وبها توفى سنة ثمان وخمسمائة بغرناطة، انظر ابن بشكوال: المصدر السابق، جـ ٢ ص ٦٠٥، عن ذلك أيضا انظر ابن الخطيب: أعمال الأعلام، طبعة بروفنسال: ص ٢٤٩.

(٢) هويش ميراندا: على بن يوسف وأعماله فى الأندلس: مجلة تطوان، سنة ١٩٥٨، ١٩٥٩.

(٣) البيذق: أخبار المهدى بن تومرت: ص ٧٣، طبعة دار المنصور، الرباط، ١٩٧١، ابن بشكوال: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٦٠٥، ابن عذارى: البيان: جـ ٤ ص ٩١.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق: طبعة دورى، ص ١٩٨ ـ ص ٢٢٠، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٦٣، جـ ٣ ص ٢٢٠، ص ٥٧١، جـ ٤ ص ٤٦١، تحقيق إحسان عباس، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ قسم ٣ الموحدى، ص ٣٣، المراكشى: المعجب، ص ٢٧٩، ص ٢٨٠، طبعة سنة ١٩٦٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٣ ص ١٠٧، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ١١ ص ٢٢٣، طبعة دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦٧، النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٤ ص ٣٠٩، ص ٣١٠ سيد عبد العزيز سالم، وأحد مختار العبادى: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، ص ٢٤٩، أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، جـ ١ ص ٢٣٤.

أيضًا من المرابطين، واختلفوا فيمن يقدمونه على أنفسهم، فندبوا إليها أبا عبد الله بن ميمون، ولم يكن منهم، وإنما هو من أهل مدينة دانية[١]، فأبى عليهم وقال: إنما أنا رجل منكم، ووظيفتى البحر وبه عرفت، فكل عدو جاءكم من جهته فأنا به، فقدموا على أنفسهم رجلا منهم اسمه عبد الله بن محمد يعرف بابن الرميحى[٢]، فلم يزل عليها إلى أن دخلها عليه النصارى من البر والبحر، فقتلوا أهلها وسبوا نساءهم وبنيهم وانتهبوا أموالهم فى خبر يطول ذكره»[٣].

ولما قامت الدولة الموحدية أولى الموحدون النشاط الاقتصادى عناية خاصة وحاولوا توفير الأمن والاستقرار لأهل البلاد فنقلوا الصراع كذلك إلى مناطق نصارى[٤] أسبانيا وبذلوا جهودًا كبيرة فى إقامة الحصون حماية «للبسائط»[٥] وإرسال الجيوش حماية

(١) مدينة بشرقى الأندلس «على البحر عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين... والسفن واردة إليها صادرة عنها، ومنها كان يخرج الأسطول إلى الغزو» الحميرى: المصدر السابق: ص ٧٦.

(٢) يكنى أبا يحيى، وكان أديبًا ظريفًا طيب النفس، وبنو الرميحى سلالة من بنى أمية ملوك الأندلس، ينتسبون إلى رمحة: قرية من أعمال قرطبة وكان يتولى المرية قبله عامل من قبل الموحدين اسمه ابن مخلوف، فخلع أهل المرية طاعة الموحدين وقتلوا عاملهم إذ ذاك وولوا عليها أبا يحيى بن الرميحى دخل النصارى المرية، وفعلوا بها ما فعلوا، فر ابن الرميحى إلى فاس، وعاش بها ضائعًا خاملاً يسكن فى غرفة مفردة ويعيش من نسخ الكتب، انظر المراكشى: المعجب: ص ٢٧٩.

(٣) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٧٩ ـ ص ٢٨٠.

(٤) عن محاولات الموحدين نقل الصراع إلى مناطق أسبانيا النصرانية ونسف زروعهم انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: طبعة أوبسالة ص ١٣٨، ص ١٤٠، ص ١٤٤، ص ١٥١، وطبعة دار المنصور، ص ٢٠٠، ص ٢٠١، ص ٢٠٢، ص ٢١٠، ص ٢١١، ص ٢١٢، وفى ذلك يذكر ابن أبى زرع «وفى سنة خمس وثمانين وخمسمائة تحرك أبو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على إلى الأندلس برسم غزو بلاد غربها، وهى أول غزواته للروم، فجاز إليها من قصر المجاز إلى الجزيرة الخضراء وذلك يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين وخمسمائة المذكورة، فارتحل عن الجزيرة الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة الأشبونة وأنحائها، فقطع الثمار وقتل وسبا وأضرم النيران فى القرى وحرق الزرع وبالغ فى النكاية» ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ٢١٨، المراكشى: المعجب، ص ٣٣١، النويرى: نهاية الأرب، جـ ٢٤ ص ٣٣٤، تحقيق حسين نصار.

(٥) ابن عذارى: البيان: جـ ٣ القسم الموحدى، ص ١٠٣، تحقيق هويش ميراندا ومحمد إبراهيم الكتانى سلسلة معهد مولاى الحسن، سنة ١٩٦٠ م.

لغرناطة، يقول ابن صاحب الصلاة: «إن أبا سعيد وأبا عبد الله خرجوا من أشبيلية بالعسكر الميمون إلى مدينة غرناطة لدفع المحاربين الأشقياء عن جهاتها وحماية صيفيتها فعند خروجهم من قرطبة إلى جهاتها التقوا على غير ميعاد ولا معرفة بعسكر مجتمع معد من عسكر ابن مردنيش بحصن لك[١] فكانت بينهم مدافعات عميمة، وكرات فى معركة من الحرب عظيمة، ظهر فيها من إقدام أبى عبد الله بن يوسف ومن أعيان العرب وسائر العسكر ومن صبرهم ودفاعهم وقراعهم ما لم يظهر مثله إلا فى زمان الأبرار المجاهدين الأخيار»[٢].

ومع كل جهود الموحدين هذه فى حماية الأندلس بما فيها إقليم غرناطة ظل نصارى أسبانيا يوجهون اعتداءات مستمرة إلى كل بلاد الأندلس[٣]، ولذلك حرص الموحدون على عقد الصلح مع نصارى أسبانيا رغبة فى تحسين النشاط الاقتصادى[٤]، وتحقيق الأمن للسكان حتى يستطيعوا ممارسة أنشطتهم الاقتصادية المختلفة دون خوف من سلب أو نهب أو حرق لزروع ونسف لبساتين فازدهرت الزراعة فى المناطق الجنوبية مثل غرناطة ومالقة والمرية[٥]

---

(١) حصن لك يقع جنوب غرناطة على مقربة منها، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٢٧٦، هامش رقم ١.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٢٧٦.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٥١٢ ـ ص ٥٢٢، طبعة سنة ١٩٦٤، ص ٣٩٥ ـ ص ٤٠٥ طبعة سنة ١٩٧٩، المراكشى: المعجب: ص ٣٢١، ص ٣٢٤، ص ٣٥٦، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ١٣٢ ـ ص ١٣٦، ص ١٣٨ ـ ص ١٤٠، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ القسم الموحدى، ص ١٠٠، ص ١٠٣، ص ١٠٧ ـ ص ١٠٨، ص ١١٠، ص ١١٣، ص ١١٨ ـ ص ١١٩، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ٤٤٣، طبعة بيروت.

(٤) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٢٠٩ ـ ص ٢١١، ص ٢٧٤ ـ ص ٢٩٠.

(٥) عن الزراعة فى غرناطة ومالقة والمرية وازدهارها فى تلك الفترة انظر الإدريسى: نزهة المشتاق، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، جـ ٢ ص ٩١، ص ١٤٨، ص ٤٣٢، ابن سعيد: الجغرافية، ص ١٤٠، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٨، ص ١٢٠، ص ١٣٠، مجهول: الحلل الموشية، ص ٩٠، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٧، ص ٢١٨، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤، ص٢٩، ص ٤٥، ص ١١١، ص ١١٢، ص ١٤٣، ص ١٩٢، المقرى: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٤٩.

وأشبيلية[١] وجبل طارق فاهتموا بالغراسة[٢] وتشريب الماء وبناء الخزانات[٣]، كما شجعوا المزارعين على استغلال الأرض[٤]، كذلك اهتموا اهتمامًا عظيمًا بالأساطيل، فلقد وجه عبد المؤمن بن على عنايته نحو إنشاء وتعمير المراسى ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية، فاستطاع أن ينشئ أقوى أسطول فى البحر المتوسط[٥]، يقول ابن أبى زرع «ودخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وفيها أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بإنشاء الأساطيل فى جميع سواحل بلاده وعزم على غزو بلاد الروم فى البر والبحر فأنشأ منها أربعمائة قطعة، منها فى سلا والمعمورة مائة وعشرون قطعة وفى مراسى سبتة وطنجة وبادمس ومراسى الريف مائة قطعة، وفى مراسى وهران هُنين وتونس مائة قطعة، وفى مراسى الأندلس ثمانين قطعة»[٦].

(١) الإدريسى: المصدر السابق: ص ٢٠٦، الحميرى: المصدر السابق، ص ١٩، ص ٢٠، ص ١٠٢، ص ١٦٩، ابن الشباط: الاكتفاء، ص ١١٧، ابن سعيد: المغرب، جـ ١ ص ١٩٩، ص ٣٠١.

(٢) يذكر ابن صاحب الصلاة أنهم (أى الموحدون) «جلبوا من أنواع الزيتون المختارة من الألوان نحوًا من عشرة آلاف شجرة، غرست على نسق عام بعد عام» انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ٥٤، هامش رقم ١، طبعة سنة ١٩٧٩، يذكر النويرى: صاحب كتاب نهاية الأرب مدى اهتمام الخلفاء الموحدين بالغراسة للمحافظة على المزروعات، يقول: «فلما كان فى صفر سنة أربع وخمسين وخمسمائة سار (أى عبد المؤمن بن على) يريد أفريقية ومعه من العساكر مائة ألف مقاتل ومن السوقة والأتباع أمثالهم وبالغ فى حفظ العساكر حتى كانوا يسيرون بين الزروع فلا تُأذى لهم سنبلة واحدة» النويرى: نهاية الأرب: جـ ٢٢ مخطوط مجلد ٢ ص ٩٤، المطبوع جـ ٢٤ ص ٣١١، (عن اهتمام الموحدين بالزراعة فى بلاد المغرب والأندلس انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب): ص ٢١٧ ـ ص ٢١٨، ص ٢٢٩.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، نفس الصفحة، الحميرى: الروض المعطار، ص ٦٧، ص ١٢١ «اهتم الموحدون وخاصة الخليفة المنصور الموحدى بتوفير المياه اللازمة للرى».

Brelvi: Islam in Africa, P. 137.

(4) Julien: Histoire de l'Afriqe, P. 122, Julien, Op. Cit. P. 124.

(٥) يذكر ابن صاحب الصلاة «أن الموحديون كانوا مضطرين للاتصال كل لحظة وحين لربط الصلة بين أفريقية والأندلس ونقل المئات من الجند بين الفترة والأخرى» انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٥٤، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ١٢٨، ص ١٢٩.

(٦) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ٢٠٠، ص ٢٠١، طبعة دار المنصور.

ويعطينا ابن خلدون وصفًا يدل على مدى القوة والكفاية التى كانت لأسطول الموحدين فى تلك الفترة حيث يقول: «ولما استفحلت دولة الموحدين فى المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد»(١).

هذا ولم تقتصر مهمة الأسطول الموحدى منذ عصر عبد المؤمن على جهاد نصارى أسبانيا، بل أخذ على عاتقه أيضًا مهمة قمع حركة القرصنة التى كانت منتشرة بين المسيحيين والمسلمين على السواء(٢)، يقول عبد العزيز بن عبد الله: إن سياسة الموحدين البحرية كانت تقوم على مبدأ احترام نواميس التجارة الدولية وضمان السلام والطمأنينة فى البحار(٣)، فقد قام الخليفة أبو يوسف بشن غارة بحرية على حصن طبيرة(٤)، وفى ذلك يقول ابن صاحب الصلاة «وفى هذه السنة (٥٦٣هـ) لازم الموحدون أعزهم الله حصن طبيرة بالحصار، وللغادر الشائز فيها عبد الله بن عبيد الله بالضيقة عليها والإسار برًا وبحرًا وسكنوا فى حصن قسطلة(٥) بعسكرهم المؤيد يضربون عليها نهارًا وليلاً، وينالون من أعدائهم كل ساعة نيلاً منهم عليها فى دفع ضرها، ورفع شرها الذى استشرى فيها، من أول عام ستة وأربعين وخمس مائة إلى آخر عام ثلاثة وستين وخمس مائة باجتماع الفسقة فى داخلها من أصناف الدايرين من أهل الترف والسرف بالفسق والعصيان وإذاية المسلمين

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٥٥، أمارى (ميشيل) المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، ١٩٧٥ م.

(٢) سيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادى: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس: ص ٢٦٣، عن ذلك انظر أيضا Ander Julien: Histore de l'Afrique du Nord: P. 123.

(٣) عبد العزيز بن عبد الله: البحرية المغربية والقرصنة ـ مجلة تطوان، العددان ٣ ـ ٤، سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩، عن ذلك أيضا Ander Julien: Historere de l'Afrique du Nord: P. 123

(٤) يقع هذا الحصن على شاطئ البحر المتوسط فى الجنوب الشرقى لمدينة شلب، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٣٨٨، طبعة سنة ١٩٧٩، هامش رقم ١، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٢٣ ـ ص ١٢٧ ـ ص ١٢٨.

(٥) تقع فى غرب الأندلس فى الشمال الشرقى من طبيرة على مقربة منها على شاطئ المحيط الأطلسى، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٣٨٨، هامش ٣، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٦٠، شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ص ٨٦، ديوان ابن دراج القسطلى: نشر محمود على مكى ص ٣٠، ص ٣١، ص ٣٢.

فى البر والبحر من كل البلدان، فكانت شجى على أهل العدوة والأندلس فى نهب أموال المسافرين والتجار فى البرارى والبحار»[١].

وإلى جانب إنشاء الأساطيل البحرية التى خدمت التجارة الملاحية، وجه الموحدون اهتمامهم إلى تنشيط التجارة الداخلية والخارجية وذلك بتشجيع التجار على المجىء إلى البلاد[٢]، فأكد الخليفة عبد المؤمن بن على فى «رسالة العدل» على حماية التجار وتأمين طرق التجارة[٣] وذلك بقتل من يخالف هذا الأمر[٤] حيث يقول: «وأما ما ذكرتموه ـ أكرمكم الله ـ من أمر أولئك التجار الذين يحملون المرافق إلى مالقة وأمثالها فلتنظروا نظراً أكيداً فى قطعهم وردعهم»[٥]...

وبعد ضم إقليم غرناطة إلى الدولة الموحدية عام ٥٥٧هـ[٦] قام الخليفة عبد المؤمن ابن على بتنشيط حركة التجارة فى إقليم غرناطة، يقول ابن صاحب الصلاة: «واتصل فى أثر هذا الفتح العظيم نظر الخليفة أمير المؤمنين ﷺ لمدينة غرناطة وقصبتها سنام الأندلس، فملأ مخازنها فى القصبة بها بالقمح والشعير... بما أبهت الناظرين، وقصر عن وصف الواصفين، وأوصل أمره العزيز ذلك كله إليها من العدوة فى المراكب فى البحر إلى «حصن المنكب» وانتقل جميع ذلك من المنكب إلى غرناطة وتحصل فى قصبتها مخزونًا، فحيت بعد موتها بهذا النظر الجميل والحزم الموصول والنيل المبذول»[٧] وقد سار خلفاؤه من بعده على نهجه[٨] فى الاهتمام بالنشاط الاقتصادى وضبط الثغور وتأمين الطرق.

---

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ٣٨٧، ص ٣٨٨.

(2) Budgett: The Moorish Empire, p. 54

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٦٧.

(٤) مجهول: رسائل موحدية: الرسالة الخامسة والسادسة، ص ١٠، ص ١١، ص ١٢، ص ١٣.

(٥) مجهول: المصدر السابق: الرسالة السادسة، ص ١٣.

(٦) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ١٩٣، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩٦.

(٧) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٩٦.

(٨) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ٢٠٦، ص ٢١١، ص ٢١٧، ص ٢١٨، ص ٢٢٣، «يذكر الحميرى فى كتابه الروض المعطار أن الخليفة الناصر الموحدى قد نهض لإصلاح الطرق وضبط الثغور» انظر الحميرى: المصدر السابق: ص ٦٧، ابن أبى زرع: نفس المصدر: ص ٢٢٣، طبعة دار المنصور.

كذلك قطع الخليفة عبد المؤمن جميع المغارم والقبالات والمكوس التى فرضها المرابطون من قبل[١]، يقول ابن القطان: «وقد ذكر لنا فى أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسى وغير ما رأينا أنه أعظم الكبائر جرمًا وإفكا»[٢].

وكان بعض الخلفاء يقومون بتنشيط حركة التجارة بمناسبة تولى الخلافة أو تجديد البيعة مثلما فعل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن فى سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٣م يقول ابن صاحب الصلاة: «وأمنهم من المخاوف فيما تقيد عليهم فى الدواوين فزاد الانبساط، والنشاط عند الناس بفضله وصفحه وعدله، وزادت المخازن إثر ذلك وفورًا ونمت الأرزاق وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابحة ودرت على الناس الخيرات دروراً واغتبط العالم به وببيعته، وكثر المال فى الأيدى من توالى سمحه وبركته، . . . واتصل فضله على من ذكرته فى جميع العدوة والأندلس»[٣].

وقد توفرت فى العصرين المرابطى والموحدى سبل الإقامة للتجار وذلك بإنشاء الفنادق، وكانت هذه الفنادق تقوم كما يذكر سيد عبد العزيز سالم بمهمة مزدوجة فوظيفتها الأولى خزن المتاجر والسلع لتوزيعها بعد ذلك بالجملة، والثانية إيواء النزلاء من التجار الوافدين، وكلما كانت المدينة عامرة بالمتاجر كلما ازداد عدد فنادقها[٤]، فمدينة المرية كانت مزدحمة الفنادق لكثرة ورود التجار الأجانب[٥] عليها فقد كان بها «ألف فندق إلا ثلاثين فندقًا»[٦] كذلك ازدحمت مدينة مالقة بالفنادق الفخمة والحمامات الحسنة والأسواق الجامعة الكثيرة[٧]، كذلك كانت الدولة الموحدية تساعد التجار وتعوضهم عن خسائرهم فيذكر ابن القطان «ومنها أنه ﷺ (يقصد الخليفة عبد المؤمن بن على) أنه أحس بضعف

(١) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٦.

(٢) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٦، عن القبالات والمكوس انظر الضرائب: ص ١٦٠ وما بعدها.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق: ص ٣٦٤.

(٤) سيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية: ص ١٦٩، جـ ١ سنة ١٩٦٩ م، دار النهضة.

(٥) ياقوت: معجم البلدان: جـ ٥ ص ١١٩، انظر: العذرى: من كتاب ترصيع الأخبار ص ٨٦.

(٦) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤.

(٧) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٨٧.

طلبة أهل مجلسه المكرم من طلبة الحضرة ومنهم أبو محمد المالقى[١] وغيره فقال للأشياخ الموحدين أعزهم الله تعالى: هؤلاء طلبة غرباء والأقلال عليهم ظاهر، فنرى أنه ندفع إليهم مالاً نقارضهم فيه، ويتجرون به ويردون السلف لنا، فقالوا نعم، فأسلفهم من مال المخزن ألف دينار لكل واحد منهم، فاكتسبوا منها، وكانت أصل غناهم، ولم يأخذها منهم أبداً»[٢].

كذلك اهتم الخلفاء الموحدون بالتجار والصناع وأمناء الأسواق فالخليفة الموحدى أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن «كان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر فى كل شهر مرتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم»[٣].

وهكذا تضافرت هذه العوامل مجتمعة على ازدهار الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة، وزيادة الإنتاج سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة، ومن خلال دراسة الحياة الاقتصادية لإقليم غرناطة فى عصر المرابطين والموحدين سيتضح إلى أى مدى أثرت هذه العوامل على النشاط الاقتصادى لسكان الإقليم.

---

(١) هو أبو عبد الله بن عبد الرحمن المالقى، وهو من مالقة، إحدى مدن غرناطة وهو الذى ولى القضاء لعبد المؤمن بعد وفاة أبى محمد عبد الله بن جبل الوهرانى، وظل على هذا المنصب طوال حكم عبد المؤمن ثم صدر من خلافة ابنه يوسف أبى يعقوب، انظر ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٣٧، هامش ٦.

(٢) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٣٧، ص ١٣٨.

(٣) المراكشى: المعجب: ص ٣٦٢، طبعة سنة ١٩٦٣.

الزراعة

كان إقليم غرناطة إقليمًا زراعيًا[١] وكان سكانه يعتمدون اعتمادًا كبيرًا على الزراعة[٢]، وسوف أعالج فى هذا الفصل الزراعة من خلال نظام الملكية العقارية للأرض الزراعية، واستخلاص نظام الزراعة سواء طرق الرى أو زراعة الأرض وفلاحتها.

الملكية العقارية:

تأثرت الملكية العقارية فى البلاد الأندلسية تأثرًا شديدًا عقب سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس وقيام فتن البربر وانقسام البلاد إلى ممالك مجزأة وطوائف متعددة[٣]، يقول المراكشى: «وأما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بنى أمية فإن أهلها تفرقوا فرقًا وتغلب فى كل جهة منها متغلب وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه وتقسموا ألقاب الخلافة»[٤].

ثم يضيف فى موضع آخر «فهؤلاء (يقصد ملوك الطوائف) الرؤساء الذين ذكرنا أسماءهم هم الذين ملكوا الأندلس بعد الفتنة وضبطوا نواحيها، واستبد كل رئيس منهم بتدبير ما تغلب عليه من الجهات»[٥] كما يذكر ابن حزم «فاقتسم ملوك الطوائف الأراضى الزراعية فيما بينهم حتى لم يبق منها إلا القليل»[٦].

وقد شهدت الأندلس ثورتين متعاقبتين على مدى نحو نصف قرن من الزمان هما ثورة

---

(١) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم: ص ٢٣٥، ليدن طبعة بريل سنة ١٩٠٩، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ٢ ص ١٠٢، ص ١٠٣، ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٣، العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية): ص ٣٤، ص ٣٥، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ١ ص ٩٨، ص ٩٩، ص ١٢٥، ص ١٣٣، اللمحة البدرية: ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار: ص٢٣، ص٢٩، المقرى: نفح الطيب: جـ١ ص١٤٧ ـ ص١٥٠، ص ١٧٥، ص١٧٧.

(٢) يذكر ابن الخطيب «وفى هذه القرى الجمل الضخمة من الرجال والفحول من الحيوانات الحارث لآثار الأرض وعلاج الفلاحة» انظر ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢٥، ص ١٢٦.

(٣) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٤٠.

(٤) المراكشى: المعجب: ص ١٢٣، طبعة ١٩٦٣.

(٥) المراكشى: المصدر السابق: ص ١٤٦، انظر أيضا السلاوى الاستقصا: جـ ٢ ص ٣٠، ص ٣١.

(٦) ابن حزم: الرد على ابن النغريلة: ص ١٧٦.

لمرابطين وثورة الموحدين وانضوت الأندلس تحت حكم هاتين الدولتين[١] فكان لا بد أن تؤثر هذه الأحداث على نظام تقسيم الأراضى وملكيتها سواء الملكيات العامة أو الملكيات الخاصة.

الملكية العامة[٢]:

اتجه المرابطون منذ بداية حكمهم إلى جعل الدولة تمتلك الكثير من الأراضى سواء فى البلاد المغربية أو الأندلسية، فقد حكم المرابطون على من ناوأهم وامتنع عن الدخول فى طاعتهم بالكفر فوجب قتالهم واعتبر مالهم غنيمة[٣] وفيئًا، فاستولى المرابطون على سجلماسة ودرعة وطبقوا هذا المبدأ، يقول ابن أبى زرع: «فأخذ عبد الله بن ياسين أموالهم ودوابهم وأسلحتهم مع الإبل التى أخذها فى درعة فأخرج منه الخمس جميعه ففرقه فى فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهم وقسم الباقى على المرابطين»[٤].

(١) عن دخول الأندلس وخاصة إقليم غرناطة فى حكم المرابطين انظر عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التبيان): ص ١٠٣ ـ ص ١٠٧، المراكشى: المعجب: ص ١٤٧، طبعة سنة ١٩٦٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ ٧ تحقيق إحسان عباس، ص ١٢٢ وما بعدها، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، ص ١٥٦، طبعة دار المنصور، سنة ١٩٧٢، مجهول: الحلل الموشية: ص ٧١ ـ ص ٧٥، تحقيق عبد القادر زمامة، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٤٠، النوبرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٢٦٧ ـ ص ٢٧٠، وعن دخول الأندلس وخاصة غرناطة فى حكم الدولة الموحدية انظر المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٨٣، ص ٢٩٣، ص ٣٢١ ـ ص ٣٢٤، ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٨٨، ص ١٨٩، ص ١٩١، ص ١٩٣، ص ١٩٤، ص ١٩٥، ١٩٦، ابن الخطيب: الاحاطة: جـ ١ ص ١٤١، النوبرى: نهاية الأرب: جـ ٢٤ ص ٣٠٠، ص ٣٠١، ص ٣٠٨، ص ٣٠٩، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: طبعة بغداد، سنة ١٩٧٩، ص ١٣٨ وما بعدها، ص ١٨٧، ص ١٨٨، ص ١٩٦ ـ ص ٢٠٩، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ١٠٤، ص ١٠٥، ص ١٠٦، ص ١٠٩، وانظر أيضا العمرى: مسالك الأبصار مخطوط رقم ٤٣٧٦، دار الكتب المصرية جـ ١٦ قسم ٢، ٣٢٣، مراجع عقيلة الغنامى: قيام دولة الموحدين، رسالة دكتوارة.

(٢) عن الملكية العامة ونظمها فى عصر المرابطين والموحدين ورأى الفقهاء فيها انظر ابن فرحون: الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب: ص ١٩٩، القاهرة، مطبعة السعادة، سنة ١٣٥١ هـ، الجزنائى: زهرة الآس فى بناء مدينة فاس: ص ٣، تلمسان، سنة ١٩٢٢، الونشريشى (أبى العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب: ١٢ جزءًا، مطبعة الشافعة، بدون تاريخ، فاس جـ ٦ ص ٩٦ حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ٢٧٦ ـ ص ٢٧٨، فجر الأندلس: ص ٦١٤، إحسان عباس: الأدب الأندلسى فى عصر سيادة قرطبة، ص ١٢، ص ١٤.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ٧٩، طبعة أوبسالة، ١٨٤٦ م، ص ١٢٨، ص ١٢٩، طبعة دار المنصور.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٢٨، طبعة دار المنصور.

أما قبائل المصامدة، فقد أقرهم المرابطون على أراضيهم مكافأة لهم بسبب تحالفهم معهم أيام الفتح الأول[١].

أما أرض زناتة[٢] وبرغوطة[٣] وغمارة فقد آلت إلى أملاك الدولة المرابطية[٤]، وأصبح هذا المبدأ مطبقًا فى كل حروب المرابطين[٥].

ثم فتحت صفحة جديدة من المعارك فى الأندلس أحرز فيها المرابطون انتصارات عظيمة على الفرنج وعلى رأس تلك المعارك معركة الزلاقة[٦]، ثم بدأ المرابطون فى توجيه

(١) ابن أبى زرع: المصدر السابق: طبعة دار المنصور، ص ١٢٦، ص ١٢٧ «وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده (يقصد عبد الله بن ياسين) من الزكاة والأعشار والأخماس إلى طلبة بلاد المصامدة وقضاتها، واشتهر أمرهم فى جميع بلاد الصحراء... وكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويشرفهم ويقدمهم على قبائل صنهاجة» انظر المصدر السابق، نفس الصفحات.

(٢) يذكر القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى «واستفحل ملك وانودين، واستضاف سجلماسة، بعض أعمال المغرب، ومات، فقام بالأمر من بعده ابنه (مسعود بن وانودين) إلى أن خرج (عبد الله بن ياسين) شيخ المرابطين... ثم ملك سجلماسة... ودخلت فى ملك المرابطين لأول أمرهم وانقرضت دولة بنى خزرون منها» القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ١٦٨، ص ١٨٧، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٣ ص ٢٤٣، ص ٢٦٤، ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٨٤.

(٣) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٣٠، ص ١٣١، طبعة دار المنصور، ابن خلدون: العبر، جـ ٦ ص ١٨٥.

(٤) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص ١٣٠، ص ١٣١.
J.F.P. Hopkins; Medieval Muslim: P. 29.

(٥) يذكر ابن أبى زرع عن استيلاء يوسف بن تاشفين على غرناطة حيث يقول «فلما وصل يوسف إلى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن بلقين وأغلق الأبواب فى وجهه، فحاصره أمير المسلمين شهرين، فلما رآه تمدد بالحصار؟ عليه فبعث إليه يطلب الأمان فأمنه بعد إسلامه، فملك يوسف غرناطة وأحوازها وجميع ما كان بيد عبد الله بن بلقين من الأعمال والبلاد، وبعث بعبد الله بن بلقين صاحب غرناطة وأخيه تميم صاحب مالقة إلى مراكش مع حريمهما وأولادهما، فأقاما بها وأجرى عليهما الأنفاق إلى أن ماتا بها» ابن أبى زرع: نفس المصدر: ص ١٥٤.

(٦) عن الزلاقة انظر ابن أبى دينار القيروانى: المؤنس فى تاريخ أفريقية وتونس، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٧، ص ١٠٨، ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة: قسم ٢ مجلد ١ ص ٢٤١، المراكشى: المعجب: ص ١٩٣، طبعة ١٩٦٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ ٧ ص ١١٦، ص ١١٧، طبعة دار بيروت، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ١٠ ص ١٥٤، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٤٦ ـ ص ١٤٩، ابن خلدون: العبر، جـ ٦ ص ١٨٦، مجهول: الحلل الموشية، ص ٤٣، ص ٥٠، ص ٥١، ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس: (الاكتفاء) ص ٩٥، الناصرى، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ٣٢، ص ٣٧، العينى، (أبو =

نشاطهم الحربى لضم الأندلس إلى دولة المرابطين والقضاء على ملوك الطوائف[١]، فضم المرابطون أراضى ملوك الطوائف[٢]، ومن ارتبط بهم من شخصيات ذات نفوذ[٣]، فقام يوسف بن تاشفين بمصادرة أملاك مؤمل أحد خدام الدولة البادسية فى غرناطة[٤]، فاتسعت بذلك ملكية الدولة بالإضافة لوراثة الدولة لمن لا وارث له[٥]، ثم بدأت الدولة المرابطية بتوزيع أراضى كثيرة على الجند والفقهاء، فتنازلت عن مساحات كثيرة من الأراضى التى تملكها[٦] ولكنها عادت وحاولت استرجاع أجزاء من الأراضى التى فقدتها، إذ حاول الأمير على بن يوسف زيادة أراضى الدولة بوسائل متعددة منها مصادرة أملاك الأمراء المرابطين المغضوب عليهم[٧] أو العمال الخونة[٨]، كذلك ضم أملاك أحباس الكنائس وبيع أرض المعاهدين الذين فروا إلى أرض العدو أو أجلوا إلى البلاد الغربية وهى أراضى واسعة[٩]، وأكثرها فى إقليم غرناطة[١٠].

= محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد): عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان مخطوط: جـ ١، دار الكتب المصرية رقم ١٥٤٨، ص ٢٥٩، شوقى أبو خليل: الزلاقة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٩، ص ٤٢، محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام، مكتبة الخانجى، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٢ م، ص ٢٨٤ ـ ص ٢٨٦، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٢٧٦ ـ ص ٢٨٩.

(١) عبد الله بن بلقين: التبيان: ص ٢٠٩، ص ٢١٠، تحقيق ليفى بروفنسال، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، المراكشى: المعجب، ص ١٩٦، ابن خلدون: العبر، جـ ٦ ص ١٨٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٢٣٥، تحقيق ليفى بروفنسال، سنة ١٩٥٦.

(٢) عبد الله بن بلقين: ص ١٤٧ وما بعدها، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٥٥، ص ١٥٦، المراكشى: المصدر السابق، ص ٢٠٠، ص ٢٠١ وما بعدها، المقرى: نفح الطيب، جـ ٤ ص ٢١٦، طبعة بيروت.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١١٧.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٥) الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب: جـ ٩ ص ١٦٥، جـ ١٠ ص ١٥.

(٦) مجهول: الحلل الموشية: ص ٨٢، المراكشى: المعجب: ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧٥، انظر مثال على ذلك الأمير ينالة المرابطى الوالى على غرناطة، من سنة ٥٢٠ هـ سنة ٥٢٢ هـ، الذى ظلم واستبد بالناس والعمال والفقهاء أيضا، عن ذلك انظر ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧٥.

(٨) انظر محاسبة الأمير على بن يوسف لعامل الجباية فى غرناطة عيسى بن الوكيل واستصفاء أمواله، ابن عذارى: المصدر السابق: جـ ٤ ص ٧٧، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٩٧.

(٩) الونشريشى: المعيار المغرب: جـ ٨ ص ٣٩ ـ ص ٤٥.

(١٠) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١ ص ١٠٩ ـ ص١٦٦، مجهول: الحلل الموشية: ص٩٠ ـ ص٩١.

لكن معظم هذه الأراضى كانت ملكًا للفقهاء الذين حظوا بمنزلة رفيعة فى دولة المرابطين[١]، ويقول المراكشى: «لم يزل الفقهاء على ذلك، وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم، طول مدته (يقصد على بن يوسف) فعظم أمر الفقهاء كما ذكرنا، وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم»[٢].

وقد اتبع الموحدون سياسة مختلفة بالنسبة لتملك الدولة للأراضى الزراعية، فقد كفر ابن تومرت كل من لم يؤمن بأفكاره[٣] «وأما ما غالط به المهدى رحمه الله من أن المرابطين مجسمة، وأن جهادهم أوجب من جهاد الكفار»[٤] فأحل دمه وماله واسترقاق نسائه وأطفاله[٥]، يقول المراكشى: «ولما كانت سنة ٥١٧هـ جهز (يقصد المهدى بن تومرت) جيشًا عظيمًا من المصامدة جلهم من أهل تينمل، مع من انضاف إليهم من أهل السوس، وقال لهم: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسموا بالمرابطين، فادعوهم إلى إماتة المنكر، وإحياء المعروف، وإزالة البدع، والإقرار بالإمام المهدى المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت لكم السنة قتالهم»[٦] ويتضح من النص السابق أن الموحدين كفروا الأمراء المرابطين والفقهاء المالكية المتعاونين معهم[٧]، فوزع ابن تومرت أموال هؤلاء المخالفين أو المنكرين بعد تخميسها على الموحدين، يقول ابن القطان فى حرب الموحدين ضد

---

(١) المراكشى: المعجب، ص ٢٣٥.

(٢) المراكشى: المصدر السابق، ص ٢٣٥ ـ ص ٢٣٧ «يتضح من النص السابق أن أكبر الملاك فى العصر المرابطى كانوا من الفقهاء ولهذا سيكونون أحرص من غيرهم على عدم المساس بالأملاك الخاصة».

(٣) السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ١٠٣، ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٧٣ ـ ص ١٧٥.

(٤) السلاوى: المصدر السابق: جـ ٢ ص ١٠٣.

(٥) ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٧٨ ـ ١٧٩، المراكشى: المعجب، ص ٢٦٠، السلاوى: المصدر السابق، جـ ٢ ص ٨٤.

(٦) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٦٠.

(٧) الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د): ص ٦٨، ابن القطان: نظم الجمان، ص ٤٢، ص ٤٨، ص ٨٥، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ ص ٦٨.

المرابطين ومن معهم من المخالفين «فقتل منهم فى ذلك اليوم نحو خمسة عشر ألفًا. . . وقتل من ذلك القبيل كل من حضر فى ذلك اليوم بتينمل وسبى حريمهم وغنمت أموالهم فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه وأصفى ديارها جوائز، جوائز لكل جائزة قبيلة»[١] وسار الخليفة عبد المؤمن على نفس السياسة خاصة فى البلاد المغربية[٢].

ويذكر عز الدين موسى أن بعض القبائل المغربية ثارت بسبب تخميس أموالها وأراضيها وهم مسلمون[٣]، ففى عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م قامت ثورة ضد الدولة الموحدية الوليدة يتزعمها رجل يدعى الماسى، يقول ابن أبى زرع: «ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، فيها خرج على أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على الماسى وتسمى بالهادى، واسمه محمد بن هود بن عبد الله، وكان قصارًا بمدينة سلا. . . فخرج على عبد المؤمن بعد أن حضر معه فتح مراكش. . . فغلب على بلاد تامسنا وأكثر بلاد المصامدة، فبايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت عبد المؤمن إلا مراكش»[٤].

وأعقبت تلك الثورة ثورة دكالة وبرغواطة يساندهم الفقهاء، المالكية أمثال بنى غانية والقاضى عياض، يقول ابن أبى زرع «ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، فيها ارتحل عبد المؤمن إلى سجلماسة فدخلها وأمن أهلها، ثم رجع إلى مراكش فأقام بها أيامًا وخرج إلى غزو برغواطة فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة هزم فيها عبد المؤمن، ثم كانت الكرة عليهم، فأجال فيهم السيف، ولم يبق منهم إلا من لم يبلغ الحلم، وفى خلال هذه (كذا) الأيام قام أهل سبتة على الموحدين بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة، وكان قيامهم عليهم برأى قاضيهم عياض بن موسا (كذا) فقتلوا من بها من الموحدين وعمالهم وأحرقوهم بالنار وركب عياض البحر إلى ابن غانية بالبيعة وطلب منه واليا، فأرسل معه الصحراوى فدخلها وأقام بها أيامًا، فلما سمع برغواطة بخروج عبد المؤمن إليهم كتبوا إلى الصحراوى وإلى سبتة يستنصرون به، فأتاهم فبايعوه واجتمعوا عليه وقاتلوا عبد المؤمن وهزموه ثم كانت الكرّة عليهم وهزمهم وقتلهم وسباهم، فهرب الصحراوى وراسل عبد

(١) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٩٤.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٨٦، ص ١٨٧.

(٣) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس ص ١٣٥.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٩٠.

المؤمن يطلب منه الأمان، فأمنه وأتاه وبايعه... فلما رأى (كذا) ذالك (كذا) أهل سبتة سقط فى أيديهم وندموا على صنعهم وكتبوا ببيعتهم إلى عبد المؤمن... فعفا عنهم وعن القاضى عياض»[١].

وبعد هذه الثورات التى قامت فى وجه الدولة الموحدية عدل الخليفة عبد المؤمن بن على عن هذه السياسة وبدأ ينتهج سياسة توحيد القبائل فى دولة واحدة، فأكد على احترام الملكية الخاصة وعدم التعرض لها لأنها مخالفة لأحكام الشرع[٢] «وقد اتصل بنا ـ وفقكم الله تعالى ـ أن من لا يتقى الله تعالى ولا يخشاه، ولا يراقبه فى كبيرة يغشاها وتغشاه، ولا يؤمن بيوم الحساب فيما أذاعه من المنكر وأفشاه، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار وينتشرون بالقتل بأعراض الناس أقبح الانتشار، يستحلون حرمات المسلمين من غير حلها، ويسارعون إلى نقض عقد الشرع وحلها، ويصفون الشدة والغلظة بطرا ورياء فى غير محلها، ويبتدعون، من وجوه المظالم ما تضعف شواهق الجبال عن حملها... فضلاً عن استباحة أموالهم وأعراضهم بتلبيسات ينشئونها ومزورات يضيفونها إليهم وينسبونها ويتظرون إلى إهضام حق الله تعالى»[٣].

فسمح لتلك القبائل الثائرة بالعودة إلى أراضيها وفلاحتها[٤] «وأن من الرأى الذميم والسعى المنقوم، ما ذكر لنا فى أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها»[٥].

أما فى البلاد الأندلسية فقد سار الخلفاء الموحدون على النهج ذاته من توحيد القبائل الثائرة تحت راية الدولة الموحدية[٦]، فيذكر البيذق أن السيد أبا حفص الموحدى خرج

---

(١) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٩٠، ص ١٩١.

(٢) البيذق: أخبار المهدى بن تومرت، طبعة دار المنصور، ص ٥٦، سنة ١٩٧١، ص ١٠٦، طبعة ليفى بروفنسال، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ قسم ٣ القسم الموحدى، تحقيق هويشى ميراند، ص ١٨، ص ٢٥، ص ٢٦.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٣، ص ١٥٤ ـ ص ١٥٧.

(٤) ابن القطان: المصدر السابق: ص ١٥٧.

(٥) ابن القطان: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٦) مجهول: رسائل موحدية: ص ٤٤، ص ١٥٢.

لملاقاة الثائر ابن ملجان بوادى آش وبسطة من أعمال غرناطة فوحد له[١]، واحتفظت هذه القبائل بأراضيها واعتبرت هذه الأراضى أرضًا خراجية يؤدى عنها الخراج للدولة[٢].

يقول ابن أبى زرع «وفى هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب وكسرها من بلاد أفريقية من برقة إرلى بلاد نول من السوس الأقصا (كذا) بالفراسخ والأميال طولاً وعرضًا فأسقط من التكسير الثلث فى الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والحزون، وما بقى قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب»[٣].

أما الثوار الذين كانوا يخرجون على الدولة من وقت لآخر فقد تملك الموحدون أراضيهم تأديبًا وعقابًا لهم[٤] هذا فضلاً عما يرد من الأبواب المعتادة من استصفاء أموال المغضوب[٥] عليهم ووراثة الدولة لأملاك من لا ورث له[٦].

الإقطاع:

منذ أن اعتبر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز الأندلس ثغرًا أعطى العرب الوافدين على الأندلس إقطاعات واسعة، يقول ابن الخطيب: «ولما استقرّ مُلك الإسلام بجزيرة

(١) البيذق: أخبار المهدى بن تومرت: ص ٨٨، طبعة دار المنصور، انظر عن تأمين الموحدين لأهل غرناطة: ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ القسم الموحدى تحقيق هويشى ميراند، ص ٣٣، انظر أيضا ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ١٩٥، وعن توحيد الموحدين للثائر ابن همشك بغرناطة انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص ٤١٢ ـ ص ٤١٦.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٩٩، عن الخراج انظر النظام المالى: ص ١٥٨.

(٣) ابن أبى زرع: المصدر السابق: ص ١٩٨ ـ ص ١٩٩، السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ١٢٤.

(٤) عن الثوار الخارجين على الموحدين انظر النويرى: نهاية الأرب جـ ٢٤ ص ٣٠٩، ص ٣٢٢، ص ٣٢٣، ص ٣٢٥، ص ٣٢٨، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ٢٧٥، ص ٣١٢، يذكر ابن صاحب الصلاة عن ما أخذه الموحدون من ابن مردنيش فى الأندلس «وأن غنائم بسطة إحدى قرى إقليم غرناطة غنم فيها الموحدون الكثير» انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ٢٨٤، وعن غدر ابن همشك وثورته فى غرناطة انظر المصدر السابق، ص ١٨٠ ـ ٢٠٩، المراكشى: المعجب، ص ٣١٨، ص ٣٢٤، ص ٣٢٨.

(٥) انظر أمثلة فى ذلك فى ابن عذارى: البيان: جـ ٤ القسم الموحدى ص ٢٣، تطوان، ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر: ص ١٨٢، ص ١٩٥، ص ١٩٨.

(٦) الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب: جـ ٩ ص ١٦٥.

الأندلس، ورمى إلى قصبتها الفتح واشرأب فى عَرصاتها الدين، ونزلت قرطبة وسواها العرب، فتبوءوا الأوطان وعمروا البلدان»[١] كما يضيف أن أبا الخطار والى الأندلس «أنزل جند دمشق كورة البيرة وجند الأردن كورة جيان وجند مصر كورة باجة وبعضهم بكورة تُدمير: فهذه منازل العرب الشاميين، وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طُعْمَة، وبقى العرب البلديون والبربر وشركاؤهم، فلما رأوا بلدانا شبه بلدانهم بالشام نزلوا وسكنوا واغتبطوا وكبروا وتحولوا، إلا من قد نزل منهم... موضعًا رضيا»[٢].

فلما كان عهد المنصور بن أبى عامر (٣٦٦هـ - ٣٩٢هـ) أبطل هذا النظام ورد الإقطاعات وجعل الحكومة هى المشرفة عليها بعد أن انتزع هذه الأرض من أصحابها العسكريين[٣] وفرض على الأرض الجباية وقدم عليها جباة يجبونها فظلموا المزارعين مما حملهم على الهرب وترك الأرض[٤]، يقول الطرطوشى: «فقلت الجبايات المرتفعة إلى السلطان وضعفت الأجناد»[٥] وسار ملوك الطوائف على هذا النظام[٦] الإقطاعى، فلما أصبحت الأندلس ولاية مرابطية عادوا إلى ما كان سائدا قبله من إقطاع الجند أرزاقهم[٧]، يقول صاحب الحلل الموشية: «فمن ظهرت نجدته وشجاعته وإعانته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده»[٨].

وكان الجند والفقهاء هم المنتفعون أساسًا بهذه السياسة وحُرم الحكام السابقون إلا عبد الله بن بلقين وأخوه تميم[٩] «وظهر أمر المرابطين بالمغرب واستفحل مُلك يوسف بن

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٣.
(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٠٢، ص ١٠٣، عن إقطاع العرب إقطاعات فى الأندلس انظر حسين مؤنس: فجر الأندلس: ص ٦١٨، ص ٦٢١.
(٣) «عندما نزع المنصور بن أبى عامر الأرض من العسكريين أعطاهم رواتب مشاهرة» عن ذلك انظر الطرطوشى: سراج الملوك: ص ١٢٣، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٠٥.
(٤) الطرطوشى: المرجع السابق: ص ٢٠٩، حسن أحمد محمود: المرجع السابق: نفس الصفحة.
(٥) الطرطوشى: نفس المصدر: ص ١٢٣.
(٦) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التبيان) ص ١٧.
(٧) الطرطوشى: المصدر السابق: نفس الصفحة، مجهول: الحلل الموشية: ص ٨٢، تحقيق عبد القادر زمامة، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ ص ٧٣.
(٨) مجهول: المصدر السابق: ص ٨٢.
(٩) ابن خلدون: العبر: جـ ٦ ص ١٨٠، ١٨١.

تاشفين فولى من بعده «يقصد باديس» حافده عبد الله بن بلقين بن باديس، وتغلب على المظفر وعقد لأخيه تميم على مالقة فاستقام أمرها إلى أن جاز يوسف بن تاشفين إلى العدوة أجازته المعروفة كما نذكره فى أخباره، ونزل بغرناطة سنة ثلاث وثمانين فقبض على عبد الله بن بلقين واستصفى أمواله وذخيرته وألحق به أخاه تميما من مالقة واستصحبهما إلى العدوة فأنزل عبد الله وتميما بالسوس الأقصى وأقطع لهما إلى أن هلكوا فى أيالته»[١].

وفى العصر الموحدى استمر نظام الإقطاع ولكنه اتخذ أشكالا تختلف عنها فى عصر المرابطين، فقد لجأ الموحدون إلى منح الإقطاعات لمن يخشون فتنته أو اتقاء شره فكانوا يقطعونه إقطاعا تسكينًا له وتجنبًا لثورته[٢]، فكانوا يقطعون هؤلاء الثوار المستسلمين إقطاعات تكون عادة بعيدة عن مناطق نفوذهم لئلا تحدثهم نفوسهم بالثورة على الدولة مرة أخرى وهو ما اتبعه الموحدون مع الثائر ابن همشك[٣]، إذ يذكر ابن الخطيب أن الموحدين أقطعوه «سأما بها خطر»[٤].

كذلك أقطع الموحدون أنفسهم الإقطاعات الواسعة مثلما فعل الخليفة أبو يوسف يعقوب الموحدى مع أعمامه لما تلكئوا عن بيعته ثم استجابوا، يذكر المراكشى «وبها تمت بيعته واستجاب له من كان تلكأ عليه من أعمامه من ولد عبد المؤمن، بعدما ملأ أيديهم أموالاً وأقطعهم الأقطاع الواسعة»[٥] كذلك أقطع الموحدون كل من أسرع فى مبايعتهم من

(١) ابن خلدون: المصدر السابق: جـ ٦ ص ١٨٠ ـ ص ١٨١، «عن إقطاع يوسف بن تاشفين إقطاعًا لعبد الله بن بلقين» انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٥٤، طبعة دار المنصور، السلاوى: الاستقصا: جـ ٢ ص ٤٨.

(٢) مثل الثائر ابن همشك الثائر بغرناطة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٣٠٢.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٣٠٢، وكذا يسميه المراكشى صاحب المعجب «وقد صفا ما بينه وبين الموحدين فى آخر أمره، فأقطعوه بمكناسة أملاكًا ذات خطر، وأقام بها إلى أن مات» المعجب: ص ٢٨٠، طبعة ١٩٦٣، عن ابن همشك والتوصية له بالإقطاع انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨١ ـ ص ١٩٧، ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٢٩٦ ـ ص ٣٠٣.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٣٠٢ (يذكر ابن الخطيب أن هذا الإقطاع كان فى مكناسة) المصدر السابق: ص ٣٠٢، «السوام والسائمة أى الابل الراعية» ابن الخطيب: نفس المصدر: ص ٣٠٢.

(٥) المراكشى: المعجب، ص ٣٤٠، ص ٣٤١، طبعة ١٩٦٣.

الأمـراء والقبـائل والأفراد، فـقد أقطع المـوحدون أهل شـريش[١] بالأندلس الإقطاعـات وحررت أملاكهـم وكانوا مقدمين عند الخليفـة على سائر الوفود[٢]، قال السـلاوى «ولما أجازوا إلى الأندلس نزلوا بأبى الغـمر بن غمـرون، صاحب شريش، فكان أول بلد فتـحوا من الأندلس بلد شريش، خرج إليهم صـاحبها أبو الغمر فيمن مـعه من المرابطين وبايعهم لعبد المؤمن ودخل فـى طاعته، فكان الموحدون يسمون أهل شـريش بالسابقين الأولين، وحررت أملاكهم فلم تزل محررة سائر أيامهم»[٣].

واتبعت الدولة الموحدية نظامًا آخر هو مشاركة الدولة للملاك، فيذكر عز الدين موسى «أن الموحدين بهذا النـظام عادوا إلى نظام الرقطاع العامرى مستعـملين اصطلاحًا آخر وهو الإسهام[٤]، وعلى هذا يكون للدولة حصة من دخل الأرض»[٥].

وكان لأراضى الدولة ديوان خاص مسئول عن إدارتها عرف فى البلاد الأندلسية بديوان المستخلص[٦].

وفى إمارة يوسف بن تاشفـين يبدو أن مستخلص البلاد الأندلسيـة كلها كان فى ديوان واحد مركزه غرناطة[٧].

---

(١) «من كور شذونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمس وعشرون ميلاً، وهى على مقربة من البحر، يجود زرعها ويكثر ريعها» الحميرى: الروض المعطار: ص ١٠٢

(٢) السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ١٠٤.

(٣) السلاوى: المصدر السابق: جـ ٢ نفس الصفحة.

(٤) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ١٤٧.

(٥) لا تعطى المصادر معلومات وافية عن مقدار هذا الإسهام الذى يقطع للفرد الواحد، فأحيانا يوصف بالسعـة أو الخطر أو الولاية الكبيرة أو القرى الكثـيرة، أو الضيعـة الواحدة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٣٠٢، ابن القطان: نظم الجمـان، ص ١٣٧، ابن خلدون: العبر، جـ ٦ ص ١٦٢.

(٦) المستخلص هو الأراضى الزراعية والعقارات التى تـخص بيت المال حيث تشير المصادر إلى مال الدولة كـأنه مال الأمـير المـرابطى أو الخليفـة الموحـدى لأنه رمـز للدولة، انظر ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١١٦، ص ١٢٦.

(٧) يذكر المؤرخ ابن سعيد أن أبا محمد عبد الرحمن بن مالك كان يدير المستخلص فى عهد يوسف ابن تاشفـين فى غرناطة، انظر ابن سعـيد: المغـرب: جـ ١ ص ١١٧، الفتح بن خاقـان: قلائد العقيان: ص ١٧٠، الخريدة جـ ١٢ ورقة ١٤٠.

وفى عهد ابنه على بن يوسف بن تاشفين تعددت الدواوين، فأنشئ فى كل قاعدة أندلسية ديوان[١].

وفى العصر الموحدى كان صاحب المستخلص يعرف باسم أمين الضياع[٢] وهو المشرف على أموال الخليفة والمحافظ عليها، يذكر البيذق «وفى ذلك العام أخذ الخليفة فى سهمه ثمانمائة ناقة وجعل عليها ابن وامانون يرعاها»[٣] ويبدو أن بعضهم كان مطلق اليد كابن هدية «من أهل الدين والفضل والأمانة بالتكسير والأعمال السلطانية وولى المستخلص بغرناطة فثقب وأجاد النظر وباشر جلائل الأمور... وحمى المناصفين، ورفع المؤمن والكلف عنهم ووسع بسليف البذور عليهم... وخص أحباس جامع غرناطة بفضل مال كثير من غلقه»[٤].

كذلك حظى أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن سعيد بمكانة خاصة لدى الخليفة عبد المؤمن بن على حيث ولاه مستخلص غرناطة وأشبيلية وسلا[٥] «كان وزيراً جليلاً بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهمة كثير الأموال»[٦].

الملكية الخاصة:

تعددت فى ذلك العصر سبل الملكية الخاصة، فإما أن تأتى الأملاك هبة من الدولة أو إقطاعاً[٧] منها أو تأتى بطريق الإرث أو الشراء[٨]، هذا وقد كثرت الإشارات إلى الأراضى

---

(١) كابن هدية الذى تولى المستخلص للأمير على بن يوسف فى غرناطة: ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٤٢٩، وابن زهر الذى تولى المستخلص فى أشبيلية: ابن عذارى: البيان، جـ ٤ ص ٦٥.

(٢) البيذق: أخبار المهدى، ص ٧٨، طبعة دار المنصور.

(٣) البيذق: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٤٢٩، ص ٤٣٠.

(٥) ابن سعيد: المغرب، جـ ٢ ص ١٦٢.

(٦) ابن سعيد: المصدر السابق، جـ ٢ ص ١٦٢، هامش رقم ١.

(٧) انظر ما سبق عن الهبات، انظر ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد: جـ ٢ ص ٤٠٠ ـ ص ٤٠٧، دار التوفيق، سنة ١٩٨٣.

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٢٦، ابن خلدون: المقدمة: جـ ١ ص ٣٦٧.

الموروثة فى العصرين المرابطى والموحدى وذلك يدل على كثرة الأملاك الموروثة وازدياد خطة المواريث[١].

وكانت الملكيات الخاصة فى البلاد الأندلسية خاصة المناطق الزراعية كغرناطة وأشبيلية أكثر من الملكيات الخاصة فى البلاد المغربية فكان بعض الملاك يمتلكون قرية أو اثنتين وقد أشار المؤرخ الغرناطى ابن الخطيب إلى حوالى ثلاثمائة قرية يمتلكها أفراد أو يشترك أكثر من شخص فى امتلاك قرية واحدة[٢].

وكان أكثر الملاك فى عصر المرابطين وعصر الموحدين هم الفقهاء، وأهل العلم والمتصوفة[٣]، فقد تحالف الفقهاء مع المرابطين ونالوا الحظوة عندهم واحتلوا المراكز الكبرى فازدادت ثرواتهم[٤] «ولم يزل الفقهاء على ذلك، وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم، طوال مدته، فعظم أمر الفقهاء. . . وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم»[٥].

وكان بنو أرسالية من أشهر أسر الفقهاء، وأكبر الملاك فى إقليم غرناطة[٦]، كذلك كان بنو سعيد أمراء قلعة يحصب[٧] من أكبر الملاك، أما فى مالقة فكان لبنى حسون[٨] وبنى الحسن وهما من أسر الفقهاء أملاك واسعة أيضًا[٩].

(١) عن الوراثة انظر الونشريشى: المعيار المغرب: جـ ٦ ص ١٣٨ وما بعدها، ابن رشد: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٤١٦ ـ ص ٤٢٧، انظر أيضا ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ٢٨٦.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص ١٢٨.

(٣) التادلى (أبو يعقوب يوسف بن الزيات): التشوف إلى رجال التصوف: ص ١١١، ص ١٣٣ «كان بنو أرسالية من أشهر الأسر التى اشتغل أهلها بالعلم والفقه فى إقليم غرناطة» ابن الأبار: التكملة: جـ٢ ص٥٧٧، ابن الخطيب: أعمال الأعلام: طبعة ليفى بروفنسال ص ٢٥٥ وبنو حسون فى مالقة، التكملة جـ ١ ص ٤٢١، وبنو الحسن أيضا فى مالقة، النباهى: المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا: ص١١٤، تحقيق ليفى بروفنسال القاهرة دار الكاتب المصرى سنة ١٩٤٨.

(٤) المراكشى: المعجب: ص ٢٣٥.

(٥) المراكشى: المصدر السابق: ص ٢٣٥.

(٦) ابن الأبار: القضاعى: التكملة لكتاب الصلة: جـ ٢ ص ٥٧٧، تحقيق كوديرا، مدريد، سنة ١٨٨٨ م ١٨٨٩ م، ابن الخطيب: أعمال الأعلام: جـ ٢ ص ٢٥٥، طبع وتحقيق ليفى بروفنسال.

(٧) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب: جـ ٢ ص ١٦٠ ـ ص ١٨١.

(٨) ابن الأبار: المصدر السابق: جـ ١ ص ٤٢١.

(٩) أبو الحسن النباهى: المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا: تحقيق ليفى بروفنسال، القاهرة، دار الكاتب المصرى، سنة ١٩٤٨ م، ص ١١٤.

وهكذا كان فقهاء عصر المرابطين وعصر الموحدين من كبار الملاك للأراضى الزراعية ولهذا فقد قوى نفوذهم فى البلاد.

أما فى فترة الانتقال من عصر المرابطين إلى عصر الموحدين وما صاحب ذلك من ثورات واضطراب نجد أنه قد كثر استغلال أرض الآخرين ظلمًا وتعديًا، فلجأ ضعفاء الناس إلى بيع أراضيهم بسعر زهيد، ويعلل ابن خلدون هذه الظاهرة «بأن العقرات والضياع ترخص فى فترة الانتقال من دولة إلى أخرى حتى يستحوذ الفرد على أملاك الكثيرين» ويسمى ابن خلدون هذه الظاهرة «حوالة الأسواق»[١].

وقد أثرت حوالة الأسواق هذه على الملكيات الخاصة، وكثرت هذه الظاهرة فى فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، فتغلب القوى على الضعيف واستولى بعض الأفراد على أملاك الناس[٢] وغدوا ملاكًا كبارًا ولم يكونوا قبل ذلك شيئًا[٣] «وهذا معنى الحوالة فيها يصبح مالكها من أغنى أهل المصر وليس بسعيه واكتسابه إذ قدرته تعجز عن مثل ذلك»[٤] مثل ابن ملحان فى وادى آش[٥] وبسطه من أعمال غرناطة.

وكان النساء من بين الملاك أيضا وملك بعضهن أراضى كثيرة إما بطريقة الوراثة[٦] أو الشراء[٧] أو الصداق[٨].

وبذلك يتضح لنا أنه على الرغم من وجود الملكيات العامة للدولة وجدت إلى جانبها

---

(١) ابن خلدون: المقدمة: جـ ١ ص ٣٦٧، انظر عن ذلك عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى ص ١٤٩.

(٢) المراكشى: المعجب: ص ٢٤١.

(٣) ابن خلدون: المصدر السابق: جـ ١ ص ٣٦٧.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق: جـ ١ ص ٣٦٧.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، طبعة ليفى بروفنسال، ص ٢٦٤، البيذق: أخبار المهدى: ص ٨٨، طبعة دار المنصور.

(٦) القاضى أبو الوليد بن رشد الحفيد ت ٥٩٥ هـ: بداية المجتهد ونهاية المقتصد: جـ ٢ ص ٤١٨، تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم، دار التوفيق للطباعة، سنة ١٩٨٣ م ـ ١٤٠٣ هـ.

(٧) الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب: جـ ٥ ص ٢١٣، جـ ٦ ص ١٣٨.

(٨) القاضى أبو الوليد بن رشد الحفيد: المصدر السابق: جـ ٢ ص ٣٠ ـ ص ٣٤، الونشريشى: المصدر السابق: جـ ٣ ص ٢٩١ ـ ص ٢٩٧.

الملكيات الخاصة أيضًا والتى كثرت فى هذين العصرين، فأسهمت تلك الملكيات فى رفع مستوى الزراعة.

الرى والنظام الزراعى:

أوردت بعض المصادر بعض إشارات تدل على أن المرابطين اهتموا بمشاريع الرى فى البلاد الأندلسية والمغربية فأولوه عناية خاصة، فقد دأب ابن هدية صاحب المستخلص فى إقليم غرناطة على غرس الأشجار فى مناطق المياه لتخفيف تبخرها(١)، وما أن استقر الأمر للموحدين حتى شرعوا فى إكمال ما بدأه المرابطون فى ذلك المجال محاولين الاستفادة من تجارب العهد الرومانى بالكشف عن آثار مشاريع الرى القديمة لتجديدها(٢) للاستفادة من مياه الأنهار والعيون وجرها إلى البسائط بوسائل متعددة، منها تفريع الأنهار إلى جداول وشق الترع، وتتجلى جهودهم هذه فى إقليم غرناطة(٣).

وفى مالقة استعملوا طريقة الرى بالأحواض(٤)، على نسق ما كان يتبعه المصريون فى الرى، وكانت أكثر وسائل الرى انتشارًا هى الروافع من السواقى أو النواعير التى تديرها الدواب التى غالبًا ما تكون من الثيران(٥)، وأفادت تلك الوسائل فى زراعة ضفاف الأنهار

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٤٢٧، ص ٤٢٨.

(٢) كانت المناطق التى تسودها الحضارة الرومانية قديمًا قد تقدمت فى وسائل الرى أكثر من غيرها، فتركت آثارها على سكان تلك المناطق، فظلت المياه تجلب إلى الهضاب حول غرناطة لرى تلك المناطق، انظر ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١١٧ ـ ص ١٢٠.

(٣) شكلت جداول الأنهار حول غرناطة دفاعًا طبيعيًا عن المدينة من ابن همشك فى سنة ٥٥٦ هـ ـ ١١٦١ م وكيف حالت الأنهار دون ذلك: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨٨، ابن عذارى: البيان المغرب: جـ ٤ القسم المحدى تحقيق هويش ميراند ص ٥١، ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٣٠١، عن ذلك انظر أيضا ابن الخطيب جـ ١ ص ٩٦، المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٢٦٧، جـ ٤ ص ٢٨٩، طبعة دار صادر بيروت، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥، العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية): ص ٣٥، ص ٣٦، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤.

(٤) ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ١٢٥.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٢٥ «وفى هذه القرى الجمل الضخمة من الرجال، والفحول من الحيوان الحارث» انظر المصدر السابق: نفس الصفحة.

والبسائط قرب العيـون فى إقليم غرناطة مثل نهر شنيل[١] وحدرة فى غرناطة[٢] ونهر وادى آش[٣] ووادى بجانة الذى يسقى بساتين المرية[٤] ووادى برجة قرب المرية[٥] أيضًا، وإلى جانب جهود المرابطين والمـوحدين لتوفير مياه الرى، ظهرت جهود فـردية يبذلها أصحاب الأراضى الزراعية أنفسهم كما فعل ابن ملحان فى وادى آش[٦].

واعتـمد أهل إقليم غرناطة على الأمطار أيضـا فى رى مزروعاتهم خـاصة فى المناطق الجبلية حـول المدينة[٧]، فكانوا يحـرصون على الاحـتفـاظ بميـاه الأمطار وتخزينهـا فى صهاريج[٨] ابتداء من شهـر ديسمبر[٩] واستعمـالها وقت الحاجة، خاصة فى فـترة الجفاف

---

(١) ابن سعـيد: المغـرب: جـ ٢ ص ١٠٢، ص ١٠٣، ابن سعـيد: كتـاب الجغرافـية، ص ١٦٧، تحقـيق إسماعيل العـرب الجزائر سنة ١٩٨٢، ابن الخطيب: المصـدر السابق، جـ ١ ص ١١٨، العمـرى: مسالك الأبصـار (وصف أفريقيـة): ص ٣٧، القلقشندى: صـبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ١١٢.

(٢) العمرى: المصـدر السابق: ص ٣٧، القلقشندى: المصدر السـابق، جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار، ص٢٣، ص٢٤، ابن صاحب الصلاة: المن بالامامة، ص١٩٠، هامش رقم ٤.

(٣) الإدريسى: نزهة المـشتاق (ط.د) ص ٢٠٢، القلـقشندى: صبح الأعـشى: جـ ٥ ص ٢٢١، ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٩، الحميرى: الروض المعطار: ص١٩٢.

(٤) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٨٤، «ووادى بجـانة يعمُّ بالسَّقى بساتين المرية» المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) ابن سعيد: جـ ٢ ص ٢٢٨، المـقرى: النفح الطيب: جـ ١ ص ١٤٣، طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٠ طبعة سنة ١٩٦٨ م.

(٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام: طبعة ليفى بروفنسال: ص ٢٦٤.

(٧) «يذكر ابن الخطيب أن هذه الجـبال تتراكم عليهـا الثلوج شتاء وفى الصيف عندمـا تسطع الشمس تذوب هذه الثلوج وتنساب من الجبال حوالى ستة وثلاثين جـدول ونهر صغير تسقى الأرض بها» انظر ابن الخطيب: نفس المـصدر: جـ ١ ص ٩٦، انـظر ابن سعـيد: الجـغرافـية: ص ١٦٧، الحميرى: الروض المعطار: ص ١١٢.

(٨) عن احتفاظ أهـل غرناطة بمياه الأنهار فى صهـاريج انظر المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٤٩٧، طبعة دار صادر بيروت، العمرى: مسـالك الأبصار (وصف أفريقية): ص ٣٩، «الصهريج بمعنى البركة» انظر القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ١٥٦، ويسمونها المغاربة المواجل: العمرى: المصدر السابق: ص ٦.

(٩) عريب بن سعد القرطبى: تقويم قرطبـة: ص ١٨٥، طبعة دوزى، ليدن بريل، المطبعة الجديدة، سنة ١٩٦١ م.

وقلة الأمطار، كذلك قام أهل غرناطة ببناء عدة قناطر على نهر شنيل وحدرة لنفس الغرض، ومن أهم هذه القناطر قنطرة ابن رشيق وقنطرة القاضى[١] وقنطرة حمام جاشى والقنطرة الجديدة وقنطرة العود وقنطرة شنيل[٢]، وحفروا الآبار وفرعوا النهيرات جداول[٣] لسقى مزروعاتهم.

طرق الزراعة:

كان العمل الزراعى فى إقليم غرناطة شأنه شأن باقى أقاليم الأندلس يقوم على الدورة الزراعية الثلاثية، فكانت الأرض بين بور وقليب ومعمور، فالبور لا تصلح إلا بالقليب والتزبيل[٤]، أما القلب أو التقليب فهو حرث الأرض مرتين إلى أربع مرات حسب نوع الأرض ونوع الزرع أو الغرس، وتقليب الأرض هذا يبدأ عادة فى شهر يناير ويستمر إلى يونيو لتترك الأرض لحرارة الشمس لأن بعض المحاصيل لا تجود إلا فى أرض التقليب كالقمح والعدس[٥]، ولقد كان الغرناطيون كغيرهم من أهل الأندلس على دراية بطرق تجهيز الأرض قبل زراعتها، فكانت الأرض تحرث بواسطة الثور[٦] «حرث زراعة»[٧] ويتم تعديل الأرض الصغيرة بالمرجقيل (ميزان الماء)[٨] أما الكبيرة فيتم تعديلها بالجاروف الذى تجره البقرة[٩].

وكان إذا تم تعديل الأرض خططت للغرس خطوطًا مستقيمة مقابلة للريح من كل جهة حيث تتباعد الغروسات والأحواض حسب اختلاف أنواع الثمار[١٠].

---

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة: ص ١٨٥، هامش رقم ١،
Huici Mirinda: Historia, P. 200 - 201.

(٢) العمرى: وصف إفريقية: ص ٣٧، ص ٣٨.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١١٩.

(٤) ابن بصال: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بصال: كتاب الفلاحة: تحقيق بيكيروسا ومحمد عزيمان، تطوان، منشورات معهد مولاى الحسن، سنة ١٩٥٥ م، ص ٥٧.

(٥) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٥٦، ص ٥٧.

(٦) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢٥.

(٧) الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار: جـ ٦ ص ٤١، جـ ٨ ص ١٠٤.

(٨) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٢٣، Dozy: Supplement 11, P. 579

(٩) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٥٥.

(١٠) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٥٦، ص ٦٠، ص ٦٢، ص ٦٧.

هذا واهتم فلاحو إقليم غرناطة اهتمامًا خاصًا بالتزبيل فكانوا يستخدمون زبل الخيل والبغال والحمير والمخلفات الآدمية والغنم والحمام ورماد الحامات ثم المولد من الحشيش والتراب[١]، وكانوا يعرفون ما يوافق كل تربة من هذه الأنواع وهذه الأسمدة.

وكان أهل غرناطة على علم بطبائع الثمار وغراستها وزمن غرس كل نوع[٢] من أنواع الثمار، وما يروى بالأنهار أو العيون أو مياه الأمطار أو الآبار[٣] وكانوا أحيانًا يزرعون ثمارًا فى غير أوقاتها كقصب السكر واللوز اللذان زرعا فى فحص البيرة[٤] مع أنهما لا يزرعان فى الأندلس إلا فى المناطق الساحلية[٥]، كذلك كانوا يقومون بزرع الياسمين والموز والخضر فى غير أوقاتها ولهذا كانوا يغطونها حتى لا يضر الجليد بها[٦]، كذلك قام أهل غرناطة بزراعة الزعفران ـ الذى اشتهرت به باغة[٧] من أعمال غرناطة ـ بطريقة البستنة أى زراعته فى بساتين على الرغم من أن هذا النبات لا ينمو إلا فى الصحراء[٨].

ويبين ابن بصال صاحب كتاب الفلاحة فى فصل من كتابه طريقة تطعيم النبات[٩]، وكذلك طرق زراعة الحبوب مثل الحمص وكيفية إعداد الأرض لذلك وعدد مرات سقاية الأحواض[١٠] وزراعة الفول وأنسب الأوقات لذلك وأحسن تربة لإنتاج محصول وافر[١١]، وزراعة الأرز الذى لا يؤكل إلا بعد تقشيره[١٢]، كما عرف أهل غرناطة الوقت المناسب

---

(١) ابن بصال: الفلاحة، ص ٤٩.
(٢) ابن بصال: نفس المصدر: ص ٩١.
(٣) ابن بصال: المصدر السابق، ص ٣٩، ص ٤٠، ص ٤١.
(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٨.
(٥) مثل المنكب وهى تابعة لإقليم غرناطة، العمرى: وصف أفريقية، ص ٤٧، القلقشندى: المصدر السابق، جـ ٥ ص ٢١٨، انظر المقرى، جـ ٣ ص ٢١٩، طبعة دار صادر.
(٦) عريب بن سعد: تقويم قرطبة، ص ١٧٣.
(٧) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٤٩، طبعة دار صادر، بيروت، وص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩.
(٨) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١١٧.
(٩) ابن بصال: نفس المصدر: ص ١٠٥ ـ ١٠٨.
(١٠) ابن بصال: نفس المصدر: ص ١٠٩.
(١١) ابن بصال: الفلاحة، ص ١١٠، ص ١١١.
(١٢) ابن بصال: المصدر السابق، ص ١١٢.

لزراعة كل نوع[١] من أنواع الثمار، فكان شهر يناير ميعاداً لغرس الكروم والزيتون والرمان[٢] وكذلك التفاح واللوز والآجاص[٣]، أما الفستق فكان يزرع فى شهر فبراير[٤] وفى نفس الشهر يتم استمرار غرس ثمار التفاح[٥]، أما شهر مارس فكان ميعادا لزراعة وغرس قصب السكر[٦] وربما القمح والشعير[٧]، وفى شهر مارس أيضًا كان يتوالد دود الحرير[٨]، أما شهر إبريل فكان يجمع فيه بعض الأزهار مثل البنفسج[٩] ويغرس فيه الياسمين[١٠]، كما يتم فيه أيضا زراعة اللوبيا والأرز على طريقة البستنة[١١]، أما شهر مايو فكان يتم فيه زراعة الأرز والزعفران بستانيا[١٢]، كذلك كان هذا الشهر ميعاداً لعمل عسل النحل[١٣]، ويجمع فيه الحرير أيضًا[١٤]، أما النصف الأخير من شهر يونيو فيحصد فيه القمح[١٥].

---

(١) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٩١.

(٢) ابن سعيد القرطبى: تقويم قرطبة، ص ٢٩، ص ٣٧، ابن بصال: نفس المصدر، ص ٦٢.

(٣) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٦٤، ص ٦٧، ص ٧١.

(٤) ابن بصال: نفس المصدر، ٨٣.

(٥) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٦١.

(٦) ابن بصال: نفس المصدر، ١١٤، ابن سعيد القرطبى: تقويم قرطبة، ص ٦٣، ابن البناء (أبو العباس): رسالة فى الأنواء، نشر باعتناء ب.ج رنو باريز لاروز، ص ٧.

(٧) ابن البناء: المصدر السابق: ص ٧.

(٨) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر: ص ٦٣، ابن العوام الأشبيلى: كتاب الفلاحة، جـ ٢ ص ٣٤٩ باعتناء بانكورى، مدريد، ١٨٠٢ م.

(٩) ابن سعيد القرطبى: تقويم قرطبة، ص ٧٦، ابن العوام: الفلاحة، جـ ٢ ص ٤٤.

(١٠) ابن سعيد: نفس المصدر: ص ٧٧، ابن البناء: نفس المصدر، ص ٨.

(١١) المصدران السابقان: نفس الصفحات.

(١٢) ابن بصال: الفلاحة: ص ١١٧، ابن البناء: نفس المصدر، ص ١٠.

(١٣) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر، ص ٩٠، ابن البناء: المصدر السابق: ص ١٠.

(١٤) ابن سعيد: تقويم قرطبة: ص ٩١.

(١٥) ابن سعيد: تقويم قرطبة، ص ٩١، «كان يكثر فى إقليم غرناطة وخاصة مدينة غرناطة نفسها» ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٠٩.

وجمع الأعشاب (التريقات)[١] التى اشتهرت بكثرتها فى إقليم غرناطة[٢]، كما يبدأ أيضا فى هذا الشهر ظهور بواكير تين السواحل[٣] وبواكير العنب[٤]، كما يستمر فى شهر يوليو حصاد وجمع القمح[٥] ونضج العنب[٦] وتزبيب التين فى السهل[٧] وكذلك جمع التفاح والكمثرى[٨]، وفى شهر أغسطس يحصد الأرز[٩] وتحرث أرض الكروم[١٠] وتجمع بواكير التمر[١١]، كما يبدأ فى هذا الشهر نضوج[١٢] الرمان والخوخ والكمثرى، أما شهر سبتمبر فيحصد فيه قصب السكر[١٣]، ويجرى قطف الخوخ[١٤] وجمع اللوز.

---

(١) ابن سعيد: نفس المصدر، ص١٠١، «التريقات نوع من الأعشاب التى تنمو فى جبل شلير ويستعمل فى صناعة الأدوية» ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ٩٨، والترياق: دواء مركب يدفع السموم والترياقة أيضا الخمر لأنها تذهب بالهمم، انظر سعيد الخورى الشرتونى: أقراب المورد فى فصح العربية والشوارد المطبعة اليسوعية لبنان ١٨٨٩، ص٧٦، باب التاء والراء.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨.

(٣) ابن سعيد القرطبى: تقويم قرطبة، ص ١٠٤، «الذى ينمو فى مالقة إحدى مدن إقليم غرناطة» الإدريسى: نزهة المشتاق، طبعة (د) ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب، جـ ١ ص ٤٢٢، ص ٤٣٢، المقرى: نفح الطيب، جـ ٣ ص ٢١٩، طبعة بيروت، تحقيق إحسان عباس، جـ ١ ص ١٤٤، طبعة سنة ١٩٤٩.

(٤) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر: ص ١٠٤، عن عنب مالقة انظر المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٥٢، طبعة دار صادر، بيروت، وجـ ١ ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩، المقرى: أزهار الرياض فى أخيار عياض، جـ ١ ص ١٧٨.

(٥) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر، ص ١٠٣ ص ١٨٨، ابن البناء: رسالة فى الأنواء، ص ١٣.

(٦) ابن سعيد القرطبى: المصدر السابق، ص ١١٨.

(٧) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر: ص ١١٩.

(٨) المصدر السابق: نفس الصفحة، ابن البناء: نفس المصدر، ص ١٢، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٢٠.

(٩) ابن البناء: نفس المصدر، ص ١٣.

(١٠) ابن بصال: الفلاحة، ص ٥٩.

(١١) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر: ص ١٢٣.

(١٢) ابن سعيد: المصدر السابق: ص ١٣٢، ص ١٣٣.

(١٣) ابن سعيد: المصدر السابق، ص ١٤٥، «كانت مدينة المنكب أكثر مدن إقليم غرناطة إنتاجًا لقصب السكر» العمرى (وصف أفريقية) ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٨، كذلك مدينة شلوبينية، الحميرى: الروض المعطار: ص ١١١.

(١٤) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١٨٨، ص ١٩٩.

والقسطل[١] وزراعة الجوز واللوز وغرس التين[٢] وفى شهر أكتوبر يستمر الناس فى زراعة وغرس الزيتون والجوز واللوز والخوخ والتين والآجاص[٣]، كما يستمر الحرث فى المناطق الجبلية والسهلية استعدادًا للزراعة[٤] وفى شهر نوفمبر تقلب أرض الزرع[٥] استعدادًا لغرس الثمار وفى هذا الشهر يتم جمع وحصاد قصب السكر[٦]، كما يجمع فى هذا الشهر الزعفران[٧] وتبدأ ظهور ثمار النرجس فى البساتين والجبال[٨].

وهكذا نستطيع القول بأن العمل الزراعى كان يستغرق وقت المزارعين طوال العام لأنه عمل دائم مستمر وكان لذلك أثره على أوضاع البلاد الاقتصادية وعلى الإنتاج الزراعى.

وإلى جانب العمل الزراعى من حرث وزرع وغرس وسقاية كان القطف أو الحصاد ويسميه الأندلسيون العصير[٩].

وكان تخزين الطعام أمرًا ضروريًا تحسبًا لما يمكن أن يحدث من الفتن والمجاعات والحروب إلى جانب حب الناس فى أكل أنواع الطعام والفاكهة فى غير موسمها، فكان المخزن أو المطمورة جزء أساسى فى بيت المزارع أو المزرعة[١٠] كذلك كان أهل غرناطة

---

(١) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١١٨، ص ١٩٩، «وهى أى غرناطة كثيرة الثمار ملتفة الأشجار أكثرها أدواح خوخ» ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨.

(٢) ابن بصال: المصدر السابق: ص ٧١، ص ٧٢، ابن البناء: رسالة فى الأنواء: ص ١٥.

(٣) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٥٩، ص ٦٠، ص ٦١، ص ٦٧، ص ٧٠، «وسائر الفواكه، من اللوز والأجاص والكمثرى، محدقة» ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٢٠.

(٤) ابن بصال: نفس المصدر، ص ٧١.

(٥) ابن سعيد القرطبى: تقويم قرطبة، ص ١٧٣.

(٦) ابن سعيد القرطبى: نفس المصدر، ص ١٧٣.

(٧) ابن سعيد القرطبى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٨) المصدر السابق: ص ١٨٦، ابن البناء، نفس المصدر، ص ١٧.

(٩) أبو يحيى الزجال: أمثال العوام، جـ ١ ص ٢١٧، تحقيق محمد بن شريفة فاس، سنة ١٩٧١، وهى أيام أعياد عند الفلاحين، انظر الأعياد فى باب الحياة الاجتماعية ص ١٠.

(١٠) الإدريسى: نزهة المشتاق (ط٠د): ص ٩٦.

على علم بطرائق حفظ الثمار مثل الجوز واللوز والقسطل والرمان والتفاح والزبيب والتين والعنب[١]، فتؤكل فى غير موسمها[٢]، فكانوا يحفرون حفرًا تحت الأرض وتفرش أرضيتها بالرمل وتوضع فيها هذه الثمار ثم تغطى بالرمل[٣].

كذلك كان أهل غرناطة كغيرهم من أهل الأندلس على علم بزراعة الزهور[٤] وحمايتها، وأشار ابن بصال فى كتابه إلى طريقة زراعة الرياحين ذوات الزهور وسائر أنواعها[٥]، وبدأ بالورد وبين طريقة جعله يزهر مرتين فى العام فى فصل الربيع وفصل الخريف وذلك بتركه دون سقى أيام الصيف فإذا دخل شهر أغسطس عادوا إلى سقيه بالماء فيزهر أزهارًا كثيرة فى الخريف[٦].

وقد اهتم أهل غرناطة بصفة خاصة بتحديد أرض البساتين وتشييد الصرائم[٧]، حتى

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧.

(٢) «وفواكههم اليابسة عامة العام، متعددة، يدخرون العنب سليمًا من الفساد إلى شطر العام إلى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز إلى غير ذلك مما لا ينفد، ولا ينقطع مدده إلاّ فى الفصل الذى يزهد فى استعماله» ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧، ابن بصال: الفلاحة: ص ١٨٠.

(٣) ابن بصال: نفس المصدر والصفحة.

(٤) ابن بصال: نفس المصدر: ص ١٨١، «ففيها الدور العالية والمبانى القصبية والرياحين النضيرة» ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٢١.

(٥) المصدر السابق: ص ١٧٢ (أوضح ابن بصال فى هذا الفصل جميع طرق زراعة الأزهار ومعالجتها) انظر نفس المصدر: ص ١٦٢ ـ ص ١٧٣ وما بعدها.

(٦) ابن بصال: المصدر السابق: ص ١٧٣، يتحدث «ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة عن كثرة البساتين بغرناطة فهو يقول «وتعددت الجنات بها والبساتين» ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ٩٦ عن البساتين فى غرناطة انظر المصدر السابق ص ٩٦، ص ١١٥، ص ١٢١، يذكر المقرى فى حديثه عن نارجة التابعة لمالقة وهى من أعمال غرناطة «وهى قرية كبيرة تضاهى المدن، قد أحدقت بها البساتين» المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٦٦.

(٧) والصرائم كلمة بربرية وتعنى الحواجز، انظر محمد الفاسى: أصول الأعلام الجغرافية الأندلسية، مجلة البينة، ص ٥٠ عدد يونيو سنة ١٩٦٢ م.

تستوى كل قطعة من الأرض منفصلة عن الأخرى كذلك كان لهم مهارة فائقة فى تشييد عرائس الكروم التى اشتهر بها إقليم غرناطة[١] وتسوير البساتين[٢].

المحاصيل الزراعية:

كانت الأراضى الزاعية بإقليم غرناطة مصدرًا خصبًا لإنتاج كثير من المحاصيل الزراعية المختلفة، حيث شهد الإقليم وفرة فى المزروعات فاشتهرت مدن وقرى الإقليم بزراعة عدة محاصيل تميز بها الإقليم عن غيره من أقاليم الأندلس، وقد أشارت المصادر إلى تمتع كثير من مدن وقرى إقليم غرناطة بوفرة المزروعات والحدائق[٣] ووفرة المحاصيل من القمح والشعير[٤]، واشتهرت مدينة مالقة بكثرة الفواكه[٥]، وكذلك مدينة غرناطة فقد كثرت فيها الفواكه خاصة فى جبل شلير[٦] «وفى هذا الجبل أصناف الفواكه العجيبة»[٧].

(١) ابن الأبار القضاعى: المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى: تحقيق كوديرا وزدين مجريط روخس، ١٨٨٥ م، ص ١٤٥، اشتهرت غرناطة بكثرة عرائش الكروم بها نظرا لشهرتها فى إنتاج الكروم، انظر ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٢٠، «وهى مكللة الأعناب» ص ١٢٤، عن كثرة الأعناب فى إقليم غرناطة انظر العمرى: (وصف أفريقية): ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، يذكر المقرى أنه «ليس بالأندلس أكثر عنبًا... منها» المقرى: أزهار الرياض: جـ ١ ص ١٧٨، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٥٢، طبعة دار صادر، جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥، طبعة سنة ١٩٤٩.

(٢) «ويحف بسور هذه المدينة المعصومة بدفاع الله تعالى البساتين العريضة المستخلصة» ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١١٥.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٦، ص ٩٨، ص ١٢٠، ص ١٢١، العمرى: مسالك الأبصار: (وصف أفريقية) ص ٣٤، ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣، ص ٢٤، ص ٤٥، ص ١١١، ص ١١٢، ص ١٤٣، ص ١٧٧ ـ ص ١٧٩، ص ١٨٣، ص ١٨٤، ص ١٨٦، ص ١٩٢.

(٤) ابن الخطيب: المصدر السابق، جـ ١ ص ٩٦، ص ١٠٩، اللمحة البدرية: ص ٢٢.

(٥) عن فواكه مالقة انظر ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ٤٢٢ ـ ص ٤٣٢، كتاب الجغرافيا: ص ١٤٠، المقرى: نفح الطيب: جـ ٣ ص ٢١٩، طبعة بيروت، جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥، طبعة ١٩٤٩، الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د): ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٩، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٧٨.

(٦) ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ١٤٩، العمرى: (وصف أفريقية): ص ٣٤، ص ٣٥، الحميرى: الروض المعطار: ص ١١٢.

(٧) الحميرى: المصدر السابق: ص ١١٢.

القمح والشعير:

وقد زرعت تلك المحاصيل فى غرناطة فجادت زراعتها فيقول ابن الخطيب: إن فحص غرناطة «بحر من بحور الحنطة»[١]، ويقول أيضًا إن كثرة قمحها وشعيرها «مما رغب به معاهدتها ابن رذمير كثرة قمحها وشعيرها»[٢] ومما يدل على كثرة القمح فى غرناطة كثرة الأرحاء بها[٣] ويذكر ابن الخطيب ما نصه: «ويشتمل سور غرناطة وما وراءه من الأرحاء الطاحنة بالماء على ما ينيف على مائة وثلاثين رحاء».[٤]

القطن والكتان والحرير

أشار الحميرى فى كتابه الروض المعطار إلى انتشار زراعة القطن فى وادى آش إحدى مدن إقليم غرناطة فيذكر أن «القطن بها كثير»[٥] وإلى جانب القطن زرع الكتان بكميات وفيرة فى وادى آش أيضا[٦] ويذكر الحميرى: «أن كتان فحص غرناطة يربو على كتان النيل»[٧] كذلك أشار ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة إلى وجود الكتان[٨] فى غرناطة، كذلك زرع الكتان[٩] فى مدينة أندرش من أعمال المرية، هذا وقد كثرت تربية دودة القز لإنتاج الحرير نظرا لتوافر شجر التوت فى مدن إقليم غرناطة[١٠]، مثل وادى

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٦، اللمحة البدرية: ص ٢٢.
(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١.
(٣) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية): ص ٣٧، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٤.
(٤) ابن الخطيب: نفس المصدر: جـ ١ ص ١٣٣، اللمحة البدرية ص ٢٥.
(٥) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٩٢، «ويذكر عثمان الكعاك فى كتابه الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط أن العرب اهتموا اهتمامًا خاصًا بإدخال زراعة القطن إلى المغرب ومنها انتقلت إلى أسبانيا» المرجع السابق، ص ٧٤.
(٦) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٩٢.
(٧) الحميرى: المصدر السابق: ص ٢٤، ابن سعيد: المغرب: جـ ١ ص ٩٢.
(٨) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١.
(٩) الحميرى: نفس المصدر: ص ٣٢.
(١٠) ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠ «وهو ما ذكره معاهدتها ترغيبا لابن رذمير فى احتلالها» انظر مجهول: الحلل الموشية، ص ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ١٠٩، الحميرى: الروض المعطار، ص ١٤٣ ص ١٩٢.

آش[١]، وفحص البيرة[٢]، وفنيانة[٣] ومالقة[٤] والمرية[٥] وبسطة[٦]، ويصور الحميرى مدى وفرة إنتاج الحرير فى إقليم غرناطة فيذكر أن مدينة المرية كانت بها ثمانمائة دار لصناعة الحرير[٧].

الزيتون

وهو من المحاصيل الوفيرة فى إقليم غرناطة، فقد اهتم المرابطون والموحدون بزراعته، فكانت مدينة وادى آش[٨] تنتج كميات وفيرة منه كذلك مدينة غرناطة[٩] وفنيانة[١٠] والمرية[١١] وقمارش[١٢] وبسطة[١٣].

---

(١) الحميرى: الروض المعطار: ض ١٩٢.

(٢) الحميرى: المصدر السابق: ص ٢٤، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٩، الاصطخرى: المسالك والممالك: ص ٣٦، ياقوت: معجم البلدان: جـ ١ ص ٢٤٤.

(٣) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٤٣.

(٤) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا: ص ١٤٠، طبعة سنة ١٩٨٢.

(٥) الإدريسى: طبعة ليدن: ص ١٩٧، الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤، صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٧.

(٦) الإدريسى: (صفة المغرب) (ط.د): ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١، حاشية ٩ نشر أحمد مختار العبادى.

(٧) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤.

(٨) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٩٢.

(٩) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٩، ص ١٢٠، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، تحقيق عبد القادر زمامة.

(١٠) الحميرى: المصدر السابق: ص ١٤٣.

(١١) القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٧، العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٦.

(١٢) ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٧٩، هامش ١.

(١٣) الإدريسى: صفة المغرب: ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١، هامش رقم ٩، الحميرى: نفس المصدر: ص ٤٤.

obeikandi.com

قصب السكر

وقد كثرت زراعته بمدن متفرقة من إقليم غرناطة[١] فقد زرع فى فحص غرناطة وشلوبين[٢] أما المنكب فقد كانت أعظمهما انتاجًا لقصب السكر[٣].

الفواكه

شهد إقليم غرناطة وفرة فى زراعة الفاكهة بأنواعها المختلفة وتشير المصادر[٤] إلى كثرة وتنوع فاكهة إقليم غرناطة[٥] فالعمرى يشير إلى ذلك بقولة «وهى (غرناطة) كثيرة الأمطار والأنهار والبساتين والشجر والفواكه... خصوصًا التفاح والقرصيا البعلبكية التى لا تكاد

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٨، الحميرى: نفس المصدر: ص ٢٤، ص ١١١ الونشريشى (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب: جـ ١٠ ص ٢١٤، القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد: ص ٢٠٥.

(٢) الحميرى: ص ١١١، «قرية مسكونة على ضفة البحر بينها وبين المنكب عشرة أميال يجود فيها الموز وقصب السكر»: المصدر السابق: نفس الصفحة، الإدريسى: صفة المغرب، ص ١٩٩.

(٣) العمرى: (وصف أفريقية): ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٨، ياقوت: معجم البلدان: مادة المنكب، البغدادى: مراصد الاطلاع: جـ ٣ ص ١٦٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب: نشر أحمد مختار العبادى: ص ١٠٩، هامش ١، ص ٣٠٠، هامش ٦، الحميرى: المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٤) الإدريسى: صفة المغرب، ص ١٩٧، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ص ٢٠٢، ص ٢٠٤، ابن سعيد: الجغرافيا، ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب، جـ ٢ ص ١٠٢، ص ١٥٤، ص ١٩٣ ـ ص ١٩٤، جـ ١ ص ٤٢٣، ص ٤٤٢، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١ ص ٩٨، ص ١٥٥، ص ١٢٠ وما بعدها، ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص ٢٩ وما بعدها، ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٩ هامش ١، ص ٨٠ هامش ٥، ص ٩٢ هامش ٢، ص ٩٣ هامش ٦، ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص ٢٨٦ هامش ٣، العمرى: وصف أفريقية ص ٣٤، ص ٣٥، ص ٤٦، ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٥، ص ٢١٧، ص ٢١٨، ص ٢١٩، مجهول: الحلل الموشية: ص ٩١، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٣، ص ٢٤، ص ٤٥، ص ١١١، ص ١١٢، ص ١٤٤، ص ١٧٨، ص ١٨٤، ص ١٨٦، ص ١٩٢.

(٥) عن فواكه غرناطة انظر فواكه جبل شيلر، الحميرى: المصدر السابق، ص ١١١، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٤١، ص ١٤٢، ص ١٤٣، ص ١٤٥، ص ١٥٥، طبعة سنة ١٩٤٩.

توجد فى الدنيا منظراً حلاوة حتى أنها ليعصر منها العسل»[١]، ويؤكد ذلك الحميرى: بقوله «وما من فاكهة توصف وتستظرف إلا وما هناك من الفاكهة فوقها»[٢] كما يؤكد ذلك ابن الخطيب بقوله «وأرضها سقى غزيرة الأنهار، كثيرة الثمار، ملتفة الأشجار، أكثرها أدواح الجوز، ويحسن فيها قصب السكر»[٣] فإذا انتقلنا إلى مدن وقرى إقليم غرناطة فالحميرى يصف بسطة «وسائر الثمار بها على مثل ذلك من الكثرة»[٤] أما وادى آش فهى «حصينة كثيرة الفواكه والمزارع»[٥] فإذا حاولنا التعرف على مناطق إنتاج الفاكهة فى إقليم غرناطة وجدنا أن مدينة غرناطة كانت من أكثر مدن الإقليم إنتاجا لعدة أنواع من الفاكهة[٦] منها التفاح والقرصيا البعلبكية[٧].

كذلك اشتهرت جليانة من أعمال وادى آش بالتفاح الجليانى «الذى يضرب به المثل فى الأندلس»[٨] ويصف المقرى تفاح جليانة بقوله «وبه التفاح الجليانى الذى خص الله به ذلك الموضع، يجمع عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وزكاء الرائحة والنقاء».[٩]

أما العنب والتين، فقد اشتهر إقليم غرناطة بكثرة إنتاج كميات وفيرة منهما، فمدينة غرناطة كانت كثيرة التين والأعناب والخوخ[١٠] والآجاص والكمثرى[١١]، أما مالقة ـ

---

(١) العمرى: وصف أفريقية: ص ٣٤، ص ٣٥.

(٢) الحميرى: المصدر السابق: ص ٢٤.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨.

(٤) الحميرى: نفس المصدر: ص ٤٤، ويؤكد نفس الوصف تقريبًا كل من الإدريسى: (صفة المغرب) (ط.د): ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١، حاشية ٩.

(٥) الإدريسى: (صفة المغرب): ص ٢٠٢، الحميرى: الروض المعطار، ص ١١٢.

(٦) الإدريسى: المصدر السابق، ص ١٩٧، ص ١٩٩، ص ٢٠٠، ص ٢٠٢، ص ٢٠٤، العمرى: (وصف أفريقية): ص ٣٤، ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٥ ـ ص ٢١٩، ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١ ص ٩٨، الحميرى: المصدر السابق: ص٢٣، ص ٢٤، ص ١١٢.

(٧) العمرى: المصدر السابق: ص ٣٤، ٣٥، القلقشندى: نفس المصدر، جـ ٥ ص ٢١٥.

(٨) ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١٤٨.

(٩) المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٤٣، طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٤٩، طبعة بيروت.

(١٠) العمرى: المصدر السابق، ص ٣٥، القلقشندى: نفس المصدر، جـ ٥ ص ٢١٥، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٠٩، مجهول: الحلل الموشية، ص ٩١، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٦٤ طبعة سنة ١٩٤٩.

(١١) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ ص ١٢٠.

إحدى مدن إقليم غرناطة ـ فقد اشتهرت أيضا بكثرة إنتاجها من العنب والتين إذ يذكر المقرى أنها «كثيرة الفواكه، رأيت العنب يباع فى أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير»[١] كذلك كانت بليش مالقة من أعمال مالقة «كثيرة اللوز والعنب والتين»[٢] كما أن قمارش من أعمال مالقة أيضًا، «وافرة الماء والزرع من كروم وزيتون وحبوب»[٣] كذلك التين المالقى[٤] الذى يصل إلى مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند[٥]، كذلك أنتجت كل من بليشى مالقة وقمارش أنواعًا جيدة من التين[٦] أضف إلى ذلك الرمان[٧] أما الجوز واللوز والقسطل فقد أنتجت مدينة غرناطة كميات كبيرة منه[٨]، كذلك كانت مدينة مالقة من أهم مدن الإقليم إنتاجًا لثمار الجوز واللوز[٩] والذى كان يصدر إلى داخل البلاد وخارجها[١٠] أما الموز فقد زرع بكميات كبيرة فى كل من شلوبين[١١] والمنكب[١٢].

---

(١) المقرى: المصدر السابق، جـ ١ ص ١٥٢، دار صادر بيروت، جـ ١ ص ١٤٥، طبعة ١٩٤٩.

(٢) ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٨ حاشية رقم ٢ ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٤٢.

(٣) ابن الخطيب: مشاهدات، ص ٧٩، حاشية ١.

(٤) ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب، جـ ١ ص ٤٢٢ إلى ص ٤٣٢ تَمَيَّزَ تينُ مالقة بالإضافة لحلاوة الطعم، عدم تسوسه واحتماله البقاء مدة طويلة دون أن يفسد، انظر ابن الوردى خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص ٣٠، العمرى، وصف أفريقية ص ٣٨.

(٥) ابن سعيد: الجغرافيا نفس الصفحة، ابن سعيد: المغرب حـ ١ نفس الصفحات، الإدريسى، نزهة المشتاق (ط.ر) ص ٢٠٠، ص ٢٠٤.

(٦) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٧٨ حاشيه ٦ ص ٧٩ حاشية رقم (١) ابن سعيد: المغرب حـ ١ ص ٤٤٢ ابن بطوطة: الرحله جـ ٢ ص ١٨٧.

(٧) الإدريسى: (صفة المغرب) (ط.د): ص ٢٠٠، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٤٢، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٥ ط سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٢ طبعة دار صادر بيروت.

(٨) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، ص ١٠٩، ص ١٢٠، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٥، الحجرى الروض المعطار ص ٢٤.

(٩) ابن سعيد: المغرب، جـ ١ ص ٤٢٢، ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠.

(١٠) المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٥٢ طبعة دار صادر بيروت جـ ١ ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩ القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩ الحميرى نفس المصدر ص ٤٧.

(١١) العمرى: نفس المصدر ص ٤٦ «ويجود فيها الموز» انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١١١.

(١٢) العمرى: المصدر السابق ص ٤٦، القلقشندى، نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٨ الحميرى: السابق ص ١٨٦ «أما المنكب ففيها الموز الذى لا يوجد فى بلد من البلاد الإسلامية» العمرى: نفس المصدر ص ٤٧.

أما قصب السكر فقد كان فى المنكب كميات وفيرة «ويزرع بها قصب السكر حيث يصدر إلى البلاد الأخرى وبها زبيب مشهور»[١١].

ويضاف إلى هذه الثروة الزراعية من المحاصيل والفواكه تلك النباتات التى استعملت فى صناعة الأدوية، إذ يذكر ابن الخطيب أن جبل شلير كان مستودعًا للنباتات الترياقية[١] اى ذات الخواص الطبية[٢] وفيها السنبل فائق الطيب وبه الجنطيانة، يحمل إلى جميع الآفاق، وهو عقير رفيع ومكانه من الأدوية الترياقية مكانه وبه المرقشيتة[٣] واللازورد وبفحصها ما يتصل به القرمز وبها من العقار والأدوية النباتية والمعدنية ما لا يتحمل ذكرها»[٤] هذا بالإضافه إلى زعفران باغة[٥] وبسطة وعود المعطر فى ولاية[٦].

---

(١) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٧ عن المنكب وما تنتجه من موز وقصب وسكر وزبيب، انظر الإدريسى (صفة المغرب) (و.د) ص ١٩٩ ياقوت معجم البلدان جـ مادة (منكب) البغدادى: مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١٦٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ١٠٩ حاشية ١، ص ٣٠٠ حاشية ٦، ابن الخطيب، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١: اللمحة البدرية ص ٢٩ الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٦، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢١٨.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٦.

(٣) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص ٥٦٠، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٦٧م، ١٣٨٦هـ

(٤) المرقشيتة أو المرقشيطة حجر ذو خواص طبية يغلب على الظن أنه البزموت وذكره ابن سينا أنه يوجد على أنواع مختلفة راجع عنه جامع المفردات فى كتاب (ضوابط دار السكة) لعلى بن يوسف الحكيم تحقيق حسين مؤنس: سنة ١٩٦٠ م وقد سبق التعريف به.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية ص ٢٢، المقرى: نفح الطيب، جـ ١ ص ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٦، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٣٥.

(٦) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩ عن زعفران بسطة انظر: ابن الخطيب مشاهدات ص ١٣ حاشية ٩.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، ص ٩٩، طبعة سنة ١٩٤٩.

الثروة الحيوانية

الرعى وتربية الماشية

وقد صاحب كثرة الغرس والزراعات المختلفة أن حظى إقليم غرناطة بثروة حيوانية كبيرة[١] إذ كانت الأرض الزراعية الخصبة بما شهدته من تنوع فى المزروعات وكذلك بعض أراضى المراعى أماكن هامة لتربية الماشية فاشتغل بعض السكان بحرفة الرعى وتربية الماشية، فيروى ابن الخطيب: (وأن أهالى قرى غرناطة عملوا بالرعى وتربية الحيوانات التى تساعد فى حرث الأرض)[٢] كالبقر والجاموس وقد قام أهل مالقة أيضا بتربية الماشية والحيوانات الأخرى كالغنم والبقر والخيل والبغال التى كانت وسيلة المواصلات الرئيسية أما الماشية فكانت تربى للحصول على منتجات الألبان كالجبن والزبد والسمن وللحصول على اللحوم والجلود كما كانت تربى أيضًا للاستكثار والعمل فى الحقول[٣] كما انتشرت تربية الخنازير فى جميع بوادى الأندلس بما فيها إقليم غرناطة[٤].

تربية الطيور والدواجن

وإلى جانب الرعى وتربية الماشية قام أهل غرناطة بتربية الدواجن والطيور فعلى امتداد أربعين ميلاً فى فحص غرناطة كانت تنتشر أبراج الحمام[٥] ويصف ابن الخطيب مدينة غرناطة فيقول «ذات بروج سامية وبيادير فسيحة ومصاب للحمايم والدواجن مائلة»[٦].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٢٦.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق: ص ١٢٦.

(٣) ابن حزم: الرد على ابن النغريلة اليهودى ص ١٧٥ ـ ١٧٧ المقرى: أزهار الرياض فى أخبار عياض فى جـ ١ ص ١٢٩، جـ ٢ ص ٢٦٩.

(٤) الونشريشى: المعيار المغرب جـ ٨ ص ١٢٧، ص ١٦٨.

(٥) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٣٦، يؤكد هذا القول العمرى حيث يقول «ويمر شنيل غربى غرناطة إلى فحصها يشق منها أربعين ميلا بساتين وقرى وضياع كثيرة البيوت والعلالى وأبراج الحمام وغير ذلك من المبانى» العمرى (وصف أفريقية) ص ٣٦.

(٦) ابن الخطيب ـ الإحاطة جـ ١ ص ١٢٥، اللمحة، البدرية ص ٢٤.

الثروة السمكية

كان لموقع إقليم غرناطة الساحلى مع كثرة الأنهار والوديان أثر كبير فى تزويد الإقليم بثروة سمكية كبيرة حيث مارست طائفة من السكان مهنة الصيد من شواطئ البحار والأنهار، فكان الصيادون يصطادون كميات كبيرة من الأسماك، فمدينة المنكب يكثر بها صيد الأسماك[١] كذلك شلوبنية التى تقع على البحر المتوسط على بعد ستة عشر كيلو مترا شرقى المنكب[٢] فهى وافرة الأسماك[٣]، كذلك كانت مالقة مركزاً كبيراً لصيد الأسماك[٤] وكانت تملح وتحفظ فى مستودعات خاصة[٥] أما مربلة فقد كانت أيضا مركزاً هامّا لصيد السردين[٦] كذلك اشتهرت بزليانة ـ وهى قرية على ساحل البحر قريبة من مالقة ـ بصيد أسماك الحوت[٧] وتصديرها إلى الجهات المجاورة[٨].

---

(١) الإدريسى (صفة المغرب) ص ١٩٩ (طبعة دوزى) ياقوت، معجم البلدان جـ ٨ مادة منكب، البغدادى: مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ص ١٦٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب، نشر العبادى ص ١٠٩ حاشية (١) ص ٣٠٠ حاشية رقم ٦، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٦.

(٢) الحميرى: المصدر السابق ص ١١١.

(٣) ابن الخطيب: مشاهدات: نشر أحمد مختار العبادى ص ٨٠ حاشية ٥.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ٢، ابن بصوطة، الرحلة جـ ٢ ص ٢٨٦، ص ١٨٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ٥ ص ٢١٨ المقرى: نفح الطيب جـ١ ص ١٤٤، ص١٤٥، ص ١٨٦

(٥) ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣ أعطاها الفينيقيون منذ أن أسسوها سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد اسم Malaha أى المالحة نسبة إلى شهرتها فى إنتاج هذا النوع من الأسماك.

(٦) ابن الخطيب: مشاهدات ص٧٥ حاشية ٤ عن مربلة انظرا الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٠.

(٧) الحميرى: الروض المعطار ص ٤٤.

(٨) الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعه ـ دوزى) ص ٢٠٠.

الصناعة

لعبت الصناعة دورها فى ازدهار الحياة الاقتصادية فى إقليم غرناطة فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين، ونعنى بالصناعة[١] فى هذا الفصل تصنيع الإنتاج الزراعى وما يتصل به واستنباط المعادن وتصنيعها والاستفادة من ذلك كله فى سد احتياجات المواطنين من أهل الإقليم من المواد الاستهلاكية وغيرها والاستفادة من فائض هذه الصناعات فى تصديرها إلى خارج البلاد، وهو ما سنفصله فى فصل التجارة.

ولا تجىء دراسة الصناعة مكتملة بغير النظر فى عدة أمور: أهمها توفر المادة الخام التى تقوم عليها الصناعة مع وجود الخبرة الصناعية المتمثلة فى الأيدى العاملة والتى عليها قامت الصناعة وازدهرت.

وقد كان لتوفر المادة الخام فى إقليم غرناطة أثر فى أن قامت عدة صناعات أهمها صناعة النسيج[٢] وصناعة السفن[٣] وصناعة بعض الأدوات من النحاس والحديد بالإضافة إلى عدة صناعات أخرى سيجىء الحديث عنها تفصيلاً، فإلى أى مدى خدمت المادة الخام الصناعة؟

توفر المادة الخام

توفرت المادة الخام اللازمة للصناعة فى إقليم غرناطة حيث وجدت بكميات كبيرة، وتنقسم المادة الخام إلى نوعين: معدنية وغير معدنية، فالمعدنية مثل الذهب والحديد والنحاس والتوتيا... إلخ، أما غير المعدنية فهي إما نباتية أو حيوانية بالإضافة إلى الأحجار الكريمة والرخام.

(١) يقسم ابن خلدون الصناعة إلى معينة مثل النجارة والحدادة والحياكة، وغير معينة مثل الوراقة والكتابة والغناء والشعر وتعليم العلم (التدريس) انظر ابن خلدون: المقدمة ص ٤٠٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨ م ـ ١٣٩٨ هـ الطبعة الرابعة، محمد طرشونة: نظرية ابن خلدون فى الاقتصاد والعمران، مجلة الفكر (تونس) العدد ١٥ طبعة سنة ١٩٦٧ م.

(٢) عن صناعة النسيج فى إقليم غرناطة انظر الإدريسى: نزهة المشتاق (ط. د) ص ١٩٧، ص ١٩٨، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٥، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٢٤، الإدريسى: ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨ هامش رقم ٢.

(٣) العمرى: (وصف أفريقية): ص ٤٥، ص ٤٧، ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٨، ص ٢١٩.

وقد أمدنا الجغرافيون العرب بمادة وفيرة فى هذا الموضوع إلا أنهم لم يتحدثوا عن التفصيلات الفنية الدقيقة لاستخراج المعادن[١] ولا ترد أى إشارات عن طرق استخراج المعادن سوى ما أورده الحميرى عن طريقة التعدين التى شاهدها فى حصن أبال بالقرب من قرطبة فقد ذكر أن عمق البئر أكثر من خمسين ومائتى قامة ويخدم المعدن أكثر من ألفى شخص تتخصص كل مجموعة فى عمل مثل قطع الأحجار وصنع أوانى السبك والحرق ونقل[٢] الحطب.

ولقد أشار الرحالة المسلمون المشارقة ـ منهم والمغاربة الذين رأوا الأندلس ـ إلى الثروات الطبيعية للبلاد وخاصة المناطق الجنوبية، وتحدثوا عن الذهب فى غرناطة[٣] «وكان يلتقط سحالة الذهب الخالص[٤]» ومن نهرها المعروف باسم حدرة[٥] كذلك استخرج من البيرة[٦] وهى من أعمال غرناطة.

أما معدن الفضة فكان يستخرج من البيرة[٧] ولوشة[٨] وكان أهل غرناطة على علم بطرق استخراج هذه المعادن الثمينة من مناجمها[٩].

واستخلاص الشوائب منها، وكان الذهب والفضة يستعملان فى السكة[١٠] والزينة.

---

(1) L. Provencol, l"esp. Mau, x. s. p 176

(٢) الحميرى: الروض المعطار ص ١٠.

(٣) ابن غالب: فرحة الأنفس مجلة معهد المخطوطات العربية، تحقيق لطفى عبد البديع ص ٢٨٣ جـ ١ طبعة ١٩٥٥ تحقيق لطفى عبد البديع، ياقوت معجم البلدان جـ ٥ مادة غرناطة، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، نفس المؤلف: اللمحة البدرية ص ٢٢، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٦٧، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، ص ٢٤.

(٤) الحميرى: المصدر السابق ص ٢٣، ابن الحكيم الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة «حيث يذكر فى كتابه» أن الذهب كان بها قليلاً ولكنه جيد، المصدر السابق ص ٨٥.

(٥) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٩٠.

(٦) الحميرى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٧) الاصطخرى: المسالك والممالك ص ٣٦، ابن غالب، المصدر السابق ص ٢٨٣، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية: ص ٢٨، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤، ياقوت: معجم البلدان مادة غرناط تابع والبيرة، ابن يوسف الحكيم: ضوابط دار السكة ص ٨٥.

(٨) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، ابن الخطيب مشاهدات ص ٩٣ حاشية ٦ اللمحة البدرية ص ٢٨ Ency of Islam - art. loja «لوشة مدينة على بعد خمسة وخمسين ميلاً غرب غرناطة».

(٩) الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤، ابن يوسف الحكيم: ضوابط دار السكة ص ٨٥.

(١٠) على بن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة ص ٨٥، ص ١٠٢.

أما معدن الحديد فكان يوجد فى المرية[١] فى موضع يسمى بكارش[٢] ودلاية[٣] كذلك استخرج من البيرة[٤] ووجد الحديد بكميات كبيرة فى مدينة غرناطة[٥] ومدينة مالقة[٦] أما معدن النحاس فكان يوجد كذلك فى غرناطة[٧] وبعض أعمالها مثل البيرة[٨] وكذلك المرية التى اشتهرت بالصناعات النحاسية[٩]، أما معدن الرصاص فقد استخرج من غرناطة[١٠] والبيرة[١١] والمرية[١٢] كما استخرج معدن التوتيا فى قرية تسمى بطرنة من أعمال البيرة[١٣] وكذلك استخرج معدن التوتيا أيضا من حصن شلوبنية من أعمال غرناطة[١٤].

---

(١) يذكر المقرى فى وصفه لمدينة المرية «وتشتمل كورتها (أى المرية) على معدن الحديد» المقرى المصدر السابق ص ١٥٣، ١٥٤ طبعة ١٩٤٩ م وص ١٦٢ طبعه ١٩٦٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤.

(٢) يذكر المراكشى فى كتاب المعجب «وفى أعمال المرية وعلى يوم ونصف منها بموضع يسمى بكارش فيه معدن حديد أيضًا» المراكشى المصدر السابق، ص ٤٤٨ طبعة ١٩٦٣.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية ص ٢٢ «تقع دلاية غرب المرية فى جنوب سفح جبل (غدر) Gadrt على مقربة من البحر المتوسط» انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨ هامش رقم ٢.

(٤) ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣، ياقوت: معجم البلدان مادة البيرة جـ ١ ص ٢٢٤، ابن الخطيب: نفس المصدر ص ٩٨، اللمحة البدرية، ص ٢٢، الحميرى: الروض العطار ص ٢٤.

(٥) ابن الخطيب الإحاطة جـ ١: نفس الصفحة، واللمحة البدرية ص ٢٢.

(٦) الإدريسى: (نزهة المشتاق) ص ١٩٧.

(٧) ابن الخطيب: نفس المصدر جـ١، ص٩٨، اللمحة البدرية ص٢٢ الحميرى: الروض المعطار ص٢٤.

(٨) ابن غالب: نفس المصدر ص ٢٨٣، الحميرى: المصدر السابق: نفس الصفحة، ياقوت: معجم البلدان، مادة البيرة جـ ١، ابن الخطيب: نفس المصدر جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية ص ٢٢.

(٩) الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعة دورى) ص ١٩٧ نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٤ طبعة سنة ١٩٤٩م، ص ١٦٣ جـ ١ طبعة دار صادر ١٩٦٨.

(١٠) ابن الخطيب: الإحاطة جـ١ ص٩٨، اللمحة البدرية ص٢٢، الحميرى: الروض المعطار ص٢٤.

(١١) الحميرى: المصدر السابق ص ٢٤.

(١٢) المراكشى: المعجب، ص ٤٤٨.

(١٣) ابن الخطيب: الإحاطة جـ١ ص٩٨، اللمحة البدرية ص٢٢ الحميرى نفس المصدر ص٢٤، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص١٣٨ ١٩٤٩، ص٢٠٢ طبعة ١٩٦٨ الإدريسى نزهة المشتاق: ص١٩٨.

(١٤) ياقوت: معجم البلدان مادة شلوبنية التوتيا معدن يكتحل به، انظر سعيد الخورى الشرتونى أقرب المورد فى فصح العربية والشوارد ص ٨١ باب الثاء والواو.

هذه بالإضافة إلى معدن المرقشيتا[١] واللازورد[٢]، كذلك كان الملح[٣] يستخرج من إحدى القرى التابعة للمرية، أما الياقوت الأحمر[٤] فكان يستخرج من حصن منت ميور من كورة مالقة حيث استخدم فى صناعة الحلى.

أما مقاطع[٥] الرخام فى إقليم غرناطة فكان يوجد فى البيرة مقطع للرخام[٦] لين أبيض «يتصرف تصرف الكذان»[٧] للينه ورطوبته، وتعمل منه الأقداح والأكواب والأطباق والأسطال وكل ما يخرط من الخشب يخرط منه[٨]، كذلك وجد نوع من الرخام الجيد فى باغة من أعمال غرناطة موشاة فى حمرة وصفرة[٩].

كذلك أنتجت مدينة المرية نوعًا من الحصى يشبهه المقرى بأنه «كالدر فى رونقه وله ألوان عجيبة[١٠]» وقد استخدم هذا النوع من الحصى فى تجميل وتزيين حوائط المنازل والقصور والمساجد.

الصناع وأرباب الحرف

وكما توفرت لإقليم غرناطه المادة الخام التى اعتمدت عليها الصناعة فى تصنيع منتجاتها المختلفة اعتمدت أيضًا على الأيدى العاملة المدربة والتى انتشرت فى أنحاء البلاد لتصنيع الصناعات المختلفة التى احتاجتها الدولة نتيجة للتقدم الحضارى والعمرانى الذى بدأته دولة المرابطين وأكملته الدولة الموحدية والتى شجعت الصناعة نتيجة لازدياد حاجة

---

(١) معدن المرقشيتا سبق التعريف به انظر ص ٢٢٢.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية، ص ٢٣.

(٣) ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٨٢ هامش ١.

(٤) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٨ طبعة سنة ١٩٤٩.

4) scott: hist of the Moorish Empire, Vol, 111 p. 628

(٥) مقاطع: جمع، وهو اسم مكان من القطع يريد الأماكن التى يقتطع منها الرخام، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٧ طبعة ١٩٤٩.

(٦) ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣.

(٧) المصدر السابق نفس الصفحة «الكذان» نوع من الحجارة الرخوة انظر لسان العرب مادة «كذن».

(٨) ابن غالب نفس المصدر والصفحة.

(٩) المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩ م.

(١٠) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩، ص ٢٠١ طبعة ١٩٦٨

الدولة للصناعات المختلفة واتساع نطاق العمارة وازدياد الطلب على أدوات الترف المختلفة، ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله: إن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضرى وكثرته»[١]

أطلق المغاربة والأندلسيون على العمال لفظ «الصناع»[٢] أما الموحدون فقد أطلقوا عليهم اسم عبيد المخزن[٣]، والعمال ثلاثة أصناف: الصانع الخاص[٤]، وهو الذى يعمل عند صاحب العمل أو مالك الصنعة[٥] والظاهر أن كثيرين من هؤلاء الملاك من الفقهاء أو ذوى النفوذ الإدارى[٦] ونادراً ما كان هذا المالك يقوم بالعمل والخدمة[٧] بنفسه وإنما كان يستأجر عمالاً يشتغلون تحت إشرافه[٨]، أما النوع الثانى من الصناع فهو الصانع المشرك وهو ليس بأجير عند رب العمل وإنما يجلس للعمل ويخدم كل من يقدم إليه حاجته[٩] مثل الخراز[١٠] والخياط[١١] والصباغ والدباغ والنشار[١٢] ثم هو الصانع المتجول مثل صناع الأوانى الحديدية أو الخشبية وينتقل من بلد إلى آخر حسب العرض والطلب[١٣] هذا ولم

(١) ابن خلدون: المقدمة: ص ٤٠٠.

(٢) السقطى: رسالة فى الحسبة: ص ٦٢.

(٣) العمرى: مسالك الابصار (وصف أفريقية) ص ١٠.

(٤) أبو الحسن على بن رحال: كشف القناع عن مسائل الصناع، الخزانة العامة الرباط مجموعة رقم ١٠٧٩ د. ص ٣٩ و ـ ص ٤٠ ق.

(٥) تشير النوازل إلى الملكية فى المعادن والأرحاء والأفران والحمامات والملاحات والمعاصر ومصانع النسيج، عن تلك الملكيات انظر الونشريشى: المعيار جـ ٩ ص ٤٠٨ وما بعدها، ابن الأبار: الحلة السيراء جـ ٢ ص ٢٦٠ تحقيق حسين مؤنس.

(٦) الونشريشى: المصدر السابق جـ ٥ ص ٢٢٢، ابن الأبار: المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٦.

(٧) الونشريشى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢٢، جـ ١٠ ص ٦٦.

(٨) ابن رحال: كشف القناع عن مسائل الصناع مخطوط الخزانة العامة الرباط مجموعة رقم ١٠٧٩ د. ورقة ٣٩، ٤٠.

(٩) ابن رحال: كشف القناع، مخطوط، ورقة ٣٩ر ـ ٤٠ر.

(١٠) الخراز هو محترف صناعة الجلد.

(١١) هو الذى يقوم بخياطة الثياب، السقطى، رسالة فى الحسبة ص ٦٢.

(١٢) الصباغ هو الذى يقوم بصباغة الثياب، والدباغ هو الذى يقوم بدباغة الجلود، والنشار هو الذى يقوم بالنجارة ونشر الخشب، انظر السقطى: المصدر السابق ص ٦٣ ـ ص ٦٥.

(١٣) ابن عبد الله المراكشى: الذيل والتكملة لكتاب الموصل والصلة تحقيق إحسان عباس بيروت دار الثقافة سنة ١٩٦٤، سنة ١٩٦٥ ص ٣٢١.

يكن الصناع رجالاً فحسب، بل كان بينهم عدد كبير من النساء وأغلبهن احترفن صناعة الغزل والنسيج[١].

وكان كل نوع من أنواع الحرف يحتل شارعًا أو سوقًا باسمه[٢] مثل ربض الفخارين[٣] بغرناطة وسوق العطارين[٤] والصباغين والوراقين والدباغين[٥] والطوابين[٦].

هذا وكان الحرفيون والصناع منتظمين فى طوائف على رأس كل منها عريف أو أمين[٧] ويكون تعيينه عادة من قبل القاضى أو المحتسب، وكانت له السلطة عليهم وهو مسئول عن كل ما يحدث مباشرة فى جماعته طبقًا للقواعد الموضوعة والأعراف المستقرة التى يلم بها، فضلاً عن مراقبته لصنعته فهو خبير بالجيد والردىء من حرفته[٨] هذا وقد استفاد المرابطون من خبرات أهل الأندلس فى الصناعة.

فيوسف بن تاشفين حين عمد إلى التوسع فى البناء والتعمير استقدم كثيرًا من صناع أهل الأندلس[٩]، وقد قام الصناع فى كل من المرية وغرناطة ببناء أسوارهما وتعتيبها[١٠]،

---

(١) ابن عبدون ثلاث رسائل أندلسية: ص ٥٥ «يجب أن لا يباع غزل القطن، ولا الكتان، مكبَّبٌ فهو موضع غش لأن النساء يدلسن فيه ليزيد لهن فى الوزن انظر ابن عبدون: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٢) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٤٣.

(٣) العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٣.

(٤) المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٩٤ طبعة سنة ١٩٤٩، العمرى: وصف أفريقية ص ٤١.

(٥) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٠.

(٦) العمرى: نفس المصدر ص ٤١ عن هذه الأسواق انظر: نظم الجمان ص ١١٨، ابن عبدون المصدر السابق ص ٤٣.

(٧) السقطى: رسالة فى الحسبة ص ٣٩، ص ٥٦، ابن عبدون المصدر السابق، ص ٥٣.

(٨) المجيلدى (أحمد سعيد): التيسير فى أحكام التسعير، تحقيق موس أقبال الجزائر سنة ١٩٧٠ ص ٥٦، ابن عبدون، نفس المصدر ص ٢٤، ص ٥٧ الجرسفى رسالة فى الحسبة ص ١٢٥، السقطى: نفس المصدر ص ٩.

(٩) الجزنائى: زهرة الآس فى بناء مدينة فاس ص ٣٢، ابن القاض: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ـ طبع حجر فاس سنة ١٢٠٩ ص ٢٧ هـ.

(١٠) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٧٣، ص ٧٤.

وجرى على نفس السياسة الخلفاء الموحدون من استقدام الصناع المهرة إلى مراكش وذلك للاستفادة بخبراتهم ومن أمثلة ذلك استقدام الخليفة عبد المؤمن بن على من إقليم غرناطة الحاج يعيش المالقى الذى أمره بصناعة مقصورة هندسية ميكانيكية بالمسجد الجامع[١] وقد وضعت المقصورة على حركات هندسية ترفع بها عند خروج الخليفة وتخفض لدخوله[٢].

هذا وقد اضطرت الأزمة المالية على بن يوسف لفرض ضرائب باهظة ففرض على كل الصناعات قبالات[٣]، وكانت من أشد ما أنكره ابن تومرت على المرابطين، حيث استخدم ذلك فى دعايته السياسية ضدهم[٤].

وعندما قامت الدولة الموحدية حرص الخليفة عبد المؤمن على حماية الصناع «لأن الصناع هم الذين ينتفع بهم»[٥] كما أسقط جميع القبالات على الصناعات وفرضت تلك القبالات حسب دخل الصناع من صنعتهم وترك تقديرها وتحصيلها لأمين كل صنعة فى كل مدينة[٦]، لذلك تركزت الصناعات المختلفة فى مناطق إقليم غرناطة وشهد الإقليم تطوراً كبيراً فى عدة صناعات مختلفة مثل الصناعات المعدنية والصناعات الزراعية والغذائية ثم بعض الصناعات المتنوعة والتقليدية.

---

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٣٩، مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ٩٧ تحقيق ليفى بروفنسال الرباط سنة ١٩٤١.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) الإدريسى: نزهة المشتاق: (طبعة .د.) ص ٧٠ «القبالة هى فى الأصل الضريبة» التى تدفع لبيت المال وقد أطلق استعمال هذا اللفظ على الضرائب الزائدة عن الشرع وكانت هذه الكلمة تستخدم فى المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التى كان يؤديها أهل الحرف أو بائعو السلع الرئيسية» انظر ابن القطان: نظم الجمان، تحقيق محمود على مكى تطوان سنة ١٩٥٦ ص ١٥٦ الونشريشى: المعيار جـ ٨ ص ١٧٨ «سخط ابن عبدون على المتقلبين وجعلهم شر أهل الأرض» انظر ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية ص ٣٠.

(٤) ابن القطان: نظم الجمان: ص ١٥٦.

(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ ١٠ ص ٥٨٤.

(٦) أبو العباس أحمد الغبرينى: عنوان الدراية، فيمن عرف من علماء المائة السابعة فى بجاية ص ١١٥، الجزائر المطبعة الثعالبية سنة ١٣٢٨ هـ.

الصناعات المعدنية

اشتهر إقليم غرناطة بإنتاجه الوفير من المواد المعدنية مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص والتوتيا والنحاس[١]، وكان لتوفر هذه المعادن فى إقليم غرناطة أن اشتهرت عدة مدن بالصناعات المعدنية واشتهرت مدينة المرية بعدة صناعات معدنية مختلفة من أهمها آلات الحرب من التروس والرماح والسروج والدروع[٢]، وكانت المرية وبسطة دارى «صنعة الأندلس» فى العصر المرابطى[٣].

وفى العصر الموحدى، تقدمت مالقة فى الصناعات المعدنية بعد أن انهارت صناعات المرية خلال فترة الانتقال[٤]، فاختصت مالقة بصناعة آلات الصفر والنحاس والحديد من سكاكين ومقصات ذهبية وجميع ما يحتاجه المنزل من أوان خاصة لمختلف الأغراض اليومية، كما صنعوا من الحديد أيضًا التروس والرماح والدروع والسيوف[٥].

كما تقدمت صناعة السفن بسبب اهتمام المرابطين والموحدين بإنشاء السفن الحربية

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨، ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٤.

(٢) الإدريسى: نزهة المشتاق (صفة المغرب) (طبعة د) ص ١٩٧، الحميرى: الروض المعطار، ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٣، ص ١٥٤، ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩ م.

(٣) الإدريسى: المصدر السابق (ط.د) ص ١٩٧ ـ ص ٢٠٢، الزهرى (أبو محمد بن أبى بكر الزهرى): كتاب الجغرافيا ص ١٠١ تحقيق محمد الحاج صادق المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية سنة ١٩٥٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤ وكانت أى «المرية» فيما تقدم يصنع بها صنوف آلات النحاس والحديد وما لا يحاد، انظر الحميرى: المصدر السابق ص ١٨٤، انظر المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩، ص ١٦٣ طبعة سنة ١٩٦٨

(٤) عن فترة الانتقال وضرب الروم لمدينة المرية واستيلائهم عليها حتى استردها الموحدون مرة أخرى انظر الباب الأول من الرسالة، كان فتح المرية وعودتها إلى الموحدين بعد احتلال الروم لها بعشر سنوات ٥٥٢ هـ ـ ١١٥٧ م انظر العمرى: مسالك الأبصار جـ ١٦ قسم ٤ مخطوط رقم ٤٣٧٦.

(٥) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، المقرى نفح الطيب جـ ١ ص ١٣٨ طبعة سنة ١٩٤٩ وص ٢٠١ طبعة سنة ١٩٦٨، عن الصناعة المعدنية فى مالقة انظر رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ١٨٦ ص ١٨٧ باريس سنة ١٩٢٢ م.

والسفن التجارية، فاشتهرت مدينة المرية بصناعة السفن وكانت بها دار لصناعة السفن[١]، أما مالقة فكانت من أهم ثغور إقليم غرناطة فى عصر المرابطين والموحدين، حيث أقيمت بها دار لصناعة السفن التجارية إلى جانب السفن الحربية وخاصة الحراريق[٢]، أما مدينة المنكب فقد أقيمت بها أيضًا دار صناعة لإنشاء السفن[٣] الحربية والتجارية أيضا.

ومن الصناعات المعدنية صناعة الحلى

فقد عرف عن نساء غرناطة أنهن كن يتفنن فى اقتناء الجواهر والحلى[٤] بها، وفى ذلك يقول المؤرخ الغرناطى ابن الخطيب: «وقد بلغن «أى نساء غرناطة» من التفنن فى الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والتنفيس بالذهبيات والديباجيات والتماجن فى أشكال الحلى، إلى غاية نسأل الله أن يُغضَّ عنهن فيها، عين الدهر»[٥] فكانت نساء غرناطة يتقلدن الجواهر النفيسة لا سيما ما كان مرصعًا بالزمرد والياقوت الذى اشتهرت به مالقة[٦] كالقلائد

---

(١) العمرى: مسالك الأبصار «وصف أفريقية والأندلس» ص ٤٦ القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٧، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٣، ص ١٨٤ عن ثغر المرية انظر ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٩، الإدريسى: صفة المغرب ص ١٩٧ Ency. of Islam, Art Almeria by Seybold يذكر العذرى: فى كتابه نصوص عن الأندلس «أن دار صناعتها» أى المرية القديمة قد قسمت على قسمين، فالقسم الأول فيه المراكب الحربية والآلة والعدة، والقسم الثانى فيه القيسارية، قد رتب كل صناعة حسب ما يشكل لها، انظر العذرى: صفة مدينة المرية ص ٨٦.

(٢) العمرى: المصدر السابق ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٨، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣، ابن بطوطة: الرحلة جـ ٢ ص ١٨٦، ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٢٢ م، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ٤٢٣ 2) Ency of Islam, Art malaga الحراريق وتسمى أيضًا الحراقات، ومفردها حراقة وهى نوع من السفن الحربية تستخدم لحمل الأسلحة: محمد ياسين الحموى تاريخ الأسطول العربى ص ٣٤.

(٣) ابن الخطيب: نفاضة الجراب نشر العبادى ص ١٠٩ حاشية (١) ص ٣٠٠ هامش رقم ٦ الإدريسى: صفة المغرب: ص ١٩٩، البغدادى مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١٦٤، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٦.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٩، «محمد كمال شبانة يوسف الأول سلطان غرناطة، ص ١٩٧ طبعة سنة ١٩٦٩ ص ١٩٧.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٣٩.

(٦) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٨ طبعة سنة ١٩٤٩.

1) Scott: Hist. of the Moorish Empire, vol 111 P. 628.

والأقراط والخواتم المصنوعة من الذهب والفضة[١] وكانت مهارة الغرناطيين فى صناعة الحلى عظيمة[٢].

الصناعات الزراعية وما يتصل بها

لم يقتصر ازدهار الصناعة فى إقليم غرناطة على الصناعات المعدنية فحسب، بل شملت أيضًا الصناعات الزراعية وما يتصل بها من منتجات، هذا وقد شهدت مدن وقرى إقليم غرناطة تطورًا كبيرًا فى الصناعات الزراعية لم تعهده من قبل حيث تنوعت المحاصيل الزراعية[٣] فى قرى ومدن الإقليم فقامت عدة صناعات هامة منها.

صناعة الملابس والمنسوجات

تقدمت صناعة الحرير فى إقليم غرناطة تقدمًا كبيرًا ولا سيما فى مدينة المرية حيث انتشرت صناعة الحرير[٤] الموشى والديباج[٥] فتفوقت على قرطبة وأجاد أهلها هذه الصناعة إجادة تامة[٦].

(١) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٣، ياقوت: معجم البلدان جـ ٥ مادة غرناطة، ابن غالب فرحة الأنفس ص ٢٨٣ مجلد ١ جـ ٢.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٣٨، ص ١٣٩، محمد كمال شبانة يوسف الأول سلطان غرناطة ص ١٩٨.

(٣) عن المحاصيل الزراعية وتنوعها فى إقليم غرناطة انظر «الزراعة».

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعة د) ص ١٩٧، ١٩٨، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ١٠٢.

R.b. Serjent: Islamic textiles material for a hisotry up to the Mongol Conquest p. 169.

(٥) ياقوت: معجم البلدان جـ ٥ مادة المرية، ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٤.

Dozy: Dictionaire De 'Tailloe des Noms des vetements chez les Arabes Amesterdam 1845 P, 113, 436.

ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، العمرى: وصف أفريقيا ص ٤٥، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرى نفح الطيب جـ١ ص١٥٣ «الديباج هو قماش من الحرير وهو نوع من الأقمشة الحريرية» كذلك الديباج يدخل فى نسجه خيوط الذهب والفضة وهو المعروف باسم بروكار.

(٦) ياقوت: معجم البلدان جـ ٥ ص ١١٩، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٧، العمرى: نفس المصدر ص ٤٥، الإدريسى: نزهة المشتاق ص ١٩٧ ص ١٩٨ المقرى: المصدر السابق ص ١٤٥، الحميرى: نفس المصدر والصفحة، ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ١٩٣.

وكان بالمرية أعداد كثيرة من الطراز[١] «فقد بلغت طراز الحرير فيها ثمانمائة طرز[٢]» ويصنع بها من أنواع الثياب الكثير مثل الديباج والسقلاطون[٣] والأصبهانى[٤] والجرجانى[٥] والستور المكللة والثياب المعينة[٦] والعتابى[٧] الفاخر والخمر[٨].

هذا وكان الإنتاج كثيرا، فقد كان جل أهل المرية صناع نسيج وحياكة[٩].

وكان الصناع يزينون إنتاجهم بالصور والزخارف الهندسية فقد زينت قطعة من إنتاج المرية فى إمارة على بن يوسف (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ) بدوائر بداخلها أسود تفترس وعولاً

(١) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ١٩٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، العمرى: وصف أفريقية، ص ٤٥، راجع شكيب أرسلان: الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية جـ ١ ص ١١٨، ص ١١٩ «لكلمة طراز معان كثيرة منها الكتابة الرسمية التى كانت تتوج أوراق الدولة أو تطرز على الأقمشة التى تحتكرها الحكومة، وقد كشفت الأبحاث الأثرية عن وجود نوعين من دور الطراز: طراز العامة وأغلب الظن أن المقصود به المصانع الأهلية للنسيج، وقد كانت تشرف عليها الحكومة إشرافًا دقيقا، وطراز الخاصة وكان ملحقًا بقصر السلطان وعلى رأسه موظف كبير ويختص عادة بنسج ما يحتاج إليه السلطان وحاشيته، وليس من شك فى أن صناعة النسيج كانت تحتكرها الحكومة» انظر عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية فى المغرب والأندلس ص ١٢٢ هامش رقم ٥ ولنفس المؤلف أنظر الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية ـ مطبوعات المتحف الإسلامى بالقاهرة طبعة سنة ١٩٤٢ ص ١٥، ص ٢١، ص ٢٣، ص ٢٥ ويذكر نفس المؤلف أن دور الطراز، دخلت الأندلس مع عبد الرحمن الداخل وأن عبد الرحمن الناصر قد عين مملوكه خلف ناظرًا للطراز عبد العزيز مرزوق: نفس المراجع ص ١٢٣.

(٢) الإدريسى: نفس المصدر والصفحة، الحميرى: نفس المصدر والصفحة.

(٣) السقلاطون: نوع من المنسوجات الحريرية التى اشتهرت بها بلاد اليونان ومنها انتقل إلى البلاد الإسلامية، انظر عبد العزيز مرزوق المرجع السابق ص ١٢٤ Dozy: Diction. op. cit P.P 436 113,

(٤ - ٥) الأصبهانى والجرجانى كلاهما منسوجات حريرية نسبة لأصبهان وجرجان بإيران انظر مرزوق نفس الصفحة و Dozy: op. cit قد أجادت المرية صناعة هذه الأنواع من الأقمشة.

(٦) هى ما كانت تزدان بنقط صغيرة تشبه عيون الوحش أو تلك التى تزدان بزخرفة هندسية على هيئة المعين انظر مرزوق نفس المرجع والصفحة.

(٧) نوع من القماش الحريرى أيضا ينسب إلى حى عتاب فى بغداد حيث توجد مصانعه Dozy. opcit. p. 110

(٨) الخمر: متا تغطى به المرأه رأسها، مرزوق: نفس المرجع والصفحة هامش ٣.

(٩) الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ١٠٢.

صغيرة وحول هذه الدوائر مجموعة من الحيوانات الخرافية[١] ولما ضرب الروم المرية فى فترة الانتقال[٢].

تفردت مالقة بصناعة الحرير[٣] فى العصر الموحدى «خاصة الموشاة بالذهب والتى كانت تصدر إلى المشرق والمغرب وتباع بأغلى الأسعار وربما تجاوز ثمن الحلة الواحدة الآلاف»[٤].

أما دلاية[٥] إحدى قرى إقليم غرناطة فقد اشتهرت بصناعة الحرير[٦] وكان أهل غرناطة يلبسون نوعًا من الحرير كانت نتجه مدينتا غرناطة[٧] وبسطة[٨] يعرف «بالملبد المختم ذو الألوان العجيبة»[٩] ويذكر المؤرخ ليفى بروفنسال فى كتابه محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها: أن نساء غرناطة قد بلغن شأنًا بعيدًا فى التطريز بالخيوط الذهبية والفضية[١٠].

إلى جانب المنسوجات الحريرية اشتهرت غرناطة بصناعة المنسوجات الكتانية وكانت

---

(١) مورينو: الفن الإسلامى فى أسبانيا: انظر صورتها فى كتاب مورينو سالف الذكر ص ٤١٦ شكل ٤٠٧ ووصفها ص ٤١٩.

(٢) الحميرى: الروض المعطار: ص ١٨٤ «يذكر الحميرى ما نصه: وكان الروم قد ملكوها فغيروا محاسنها وسَبَوْا أهلها وخربوا ديارها» انظر الحميرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٢٤، ابن سعيد: الجغرافيا: ص ١٤٠، حسين مؤنس: الجغرافيا والجغرافيون، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص ٥٨٤.

(٤) ابن سعيد: المصدر السابق جـ ١ نفس الصفحة، الجغرافيا نفس الصفحة، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٧، جـ ٤ ص ٢٠٦ طبعة سنة ١٩٤٩ وطبعة دار صادر جـ ٣ ص ٢١٩ ـ ص ٢٢١، بيروت.

(٥) هى بلد صغيرة تقع غرب المرية فى جنوب سفح جبل غدر Gadr على مقربة من البحر المتوسط، ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٩٨ هامش ٢ قرية بالأندلس من أعمال المرية، انظر الحميرى: الروض المعطار: ص ٧٧.

(٦) ابن لخطيب: مشاهدات ص ٨٢.

(٧) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٧، طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ٢٠١ طبعة ١٩٦٨.

(٨) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ٢٠٢، ابن الخطيب مشاهدات ص ٣١ هامش ٩ الحميرى: الروض المعطار ص ٤٥.

(٩) المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٧، نوع من الحرير والقطن معًا انظر
Dozy. Diction op. cit P. 114

(١٠) ليفى بروفنسال: محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٩٢.

غرناطة من أهم المراكـز التجارية إنتاجًا لـلكتان وتصديرًا له[١] «فكتان هـذا الفحص» أى «غرناطة» يربو على كتان النيل[٢].

أما مدينة وادى آش فقد أنتجت أنواعًا جيدة من المنسوجات الحريرية والقطنية[٣].

صناعة البسط

امتازت الـدور العربية بالأبسطة التى لا يقتـصر استعـمالها على فرش أرض الـحجرات وإنما يمتد أيضـا إلى فرش المساجد وتزيين الحوائط، فكانت غـرناطة وبسطة أهم مدينتين تنتجان هذه الأبسطة[٤]، فينسب إلى مدينة بسطة «الوطـاء البسطى من الديباج الذى لا يعلم له نظير»[٥].

هذا وقد عرف الغرناطيون ـ شأنهم شأن أهل الأندلس ـ صباغة المنسوجات والصناعات الجلدية وغيرها فاستعمل أهل غرناطة فى صبـاغتهم النيلة والقرمز والزعفران الذى اشتهرت غرناطة بإنتاجها الوفير منه[٦]، كذلك بسطة التى اختصت بإنتاجـها الجيد من الزعفران[٧]، وكذلك مدينة باغة من أعمال غرناطة[٨]، وكان الحرير عادة يصبغ فى مـوضع إنتاجه، فقد اشتهـرت إحدى قرى مالقة وتدعى نارجـة بصباغة الحرير وكـان أهلها يقيمون الخـيام قرب النهر ويعـتبرون ذلك عيـدًا، فيطلقون حناجـرهم بالغناء أثناء العمل فى صبغ الحـرير، وقد عرف المكان الذى كانوا يقومون فيه بصباغة الحرير بالطراز[٩].

---

(١) الحميرى: المصدر السابق ص ٢٤.

(٢) ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٩١، الحميرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) الحميرى: نفس المصدر ص ١٩٢.

(٤) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٨٧، طبعة ١٩٤٩، جـ ١ ص ٢٠١ طبعة ١٩٦٨.

(٥) الإدريسى: نزهة المشتـاق: ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات: ص ٣١ حاشية ٩، الـحميرى: الروض المعطار: ص ٤٥.

(٦) المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٤٩، طبعة دار صادر بيروت، ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩.

(٧) الإدريسى: صفة المغرب: ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مـشاهدات: ص ٣١ حاشية ٩، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ ٥ ص ٢٢١.

(٨) الحميرى: المصدر السابق: ص ٦٠، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٩ طبعة سنة ١٩٦٨ م.

(٩) المقـرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٦٦ ـ ص ٦٧، طبعـة سنة ١٩٤٩ القاهرة وطبعـة دار صادر، بيروت جـ ١ ص ١٧٨.

المطاحن

كانت الأقوات من القمح تطحن فى إقليم غرناطة بالأرحاء التى تديرها المياه أو الحيوانات أو الرياح وقد اتخذ الغرناطيون الأرحاء المائية لكثرة المياه فى إقليم غرناطة[١]، حتى أن الأرحاء لتتخذ فى غرناطة فى المنازل أو عند مداخلها[٢] فيذكر ابن الخطيب أن الأرحاء التى تدور فى غرناطة «لا نظير لها استعداداً وإفادة»[٣] «ففيها من الأرحاء الطاحنة بالماء على ما نيف على مائة وثلاثين رحى»[٤].

صناعة الخمور

كانت الخمور تباع فى أسواق المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين[٥]، على الرغم من محاولة المرابطين منع ذلك فى بداية أمرهم[٦]، لكن شربها انتشر بين بعض أمراء المرابطين وخاصة سادتهم[٧]، وكثير من عامتهم[٨]، وفى ذلك يقول المراكشى:

(١) الإدريسى: نزهة المشتاق: طبعة (دوزى) ص ٢٠٣، ابن الكردبوس: صلة السمط: ص ١٤٥، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا: ص ١٦٧، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٣، ص ٩٤، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٤، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٣ ـ ص ٢٤.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٢٦، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٣، ص ٢٤.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ١١٩.

(٤) ابن الخطيب: نفس المصدر، ص ١٣٣.

(٥) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٧٣، ص ١٧٤ طبعة دار المنصور، المراكشى: المعجب: ص ٢٢٦.

(٦) المراكشى: المصدر السابق ص ٢٢٦، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٥٤، ص ٥٧.

(٧) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ١٢٧، ابن دحية: المطرب فى أشعار المغرب تحقيق إبراهيم الابيارى القاهرة المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٤ م، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٥٤ يذكر ابن سعيد فى كتابه المغرب جـ ٢ ص ١٢٧ «أن الشاعر أبا بكر محمد بن أحمد الأنصارى المشهور بالأبيض من قرية همدان إحدى القرى الكبيرة الداخلة فى نطاق غرناطة قام بهجاء الزبير الملثم أمير المرابطين على قرطبة حيث قال:

عكف الزبير على الضلالة جاهداً ... ووزيره المشهود كلب النار

ما زال يأخذ سجدة فى مسجد ... بين الكئوس ونغمة الأوتار

انظر ابن سعيد: المغرب: جـ ٢ ص ١٢٧.

(٨) المراكشى: المعجب: ص ٢٤١، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة، ص ٥٤، ص ٥٧.

«واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور»[١] ولم تبذل الدولة المرابطية جهودًا جدية لمنع الخمر إلا بعد أن تفاقمت الثورة الموحدية[٢].

وفى عصر الموحدين أقبل الناس على شراب الرب[٣] وكان من أكثر شراب المصامدة[٤].

ويبدو أن الناس أسرفوا فى تخميره حتى صار مفعوله مثل الخمر مما دفع الخليفة عبد المؤمن بن على إلى إصدار رسالة سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م يأمر فيها بالكف عن شراب الرب وصانعيه ومدى مطابقته للشرع[٥]، وقد جاء فيها «وأمر بالنظر فى الربوب وتمييزها والهجوم على بائعيها ومدمنى شربها ومستعمليها فيراق مسكرها، ويقطع منكرها، وليعمد إلى من عمل المسكر الحرام عامدًا، وشربه مدمنًا عليه ومعاهدا ولم تردعه الحدود... فيمحى أثره، ويحذف خبره»[٦].

ولكن الناس استمروا فى شراب الرب وزيادة تخميره مما دفع المنصور الموحدى (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م) إلى تحريمه نهائيا فأصدر رسالة تحرم الرب «فإن الناس تجوزوا فى أمر الرب تجوزًا أغفلوا فيه الاجتهاد، ورتعوا حول حماه أوقعهم فيه أو كاد وتسامحوا فيه تسامحًا خرق المتعارف من المأزون فيه والمعتاد... ولما تقرر عندنا من الالتباس فى ذلك

(١) المراكشى: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان: ص ٢٢٣، حسين مؤنس «نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين ٥٢٠ هـ - ٥٤٠ هـ مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد سنة ١١٥٥ المجلد الأول، العدد الثالث ص ٦١٣ عن ظهور الموحدين ومراحل ثورتهم على المرابطين، انظر الباب الأول ص ٢٤.

(٣) الرب هو الطبيخ الخاثر من عصير العنب، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٧١، ص ١٧٢ هامش ١ راجع أنواع الربوبيات رب السفرجل، رب الرمان، رب التوت، فى كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس، لمؤلف مجهول ص ٢٥٥.

(٤) مجهول: الاستبصار ص ٢١١ «كان الرب منتشراً بين المصامدة وكان يباع فى مراكش فى مكان خاص عرف باسم باب الرب» انظر المصدر السابق نفس الصفحة، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٨٨.

(٥) مجهول: مجموعة رسائل موحدية: ص ١٣٣ الرسالة الثالثة والعشرون.

(٦) مجهول: الرسالة السابقة نفس الصفحة.

ما تقرر... رأينا والله المستعان أن نقْطعه بالكلية أخلق بالاحتياط لدينهم وأجدر واشتدوا فى ذلك اشتدادًا لا يوسع وأخلوا الحوانيت التى كان يباع فيها منه وأفقروها وأصرفوها لغير ذلك من المباحات وصيّروها، والديار المعروفة ببيعه أيضا لا تتركوها على ذلك ولا تقرروها، وأريقوا، ما تلقون من مشتبهه وملتبسه، وعاقبوا من تجدونه عنده أشد العقوبة على دلسه، وتتبعوا فى ذلك أبلغ تتبع وأشده، ومن وجدتم عنده رائحة منه كائنًا من كان فأقيموا عليه ما رسمه الشرع فى ذلك وحدّه[١]».

كذلك نهى ابن عبدون عن حمل السلاح قبل بداية الشراب فى الأعراس[٢] ويجب أن يؤخذ سلاح الشبان عند إقبالهم عند العرس قبل أن يشربوا وإذا ظفر بالمعربد كتّف وأهبط إلى صاحب المدينة»[٣]

وقد اختصت مالقة بخموز تصنع من التين والكروم[٤] فكانت من أهم مراكز إقليم غرناطة إنتاجًا للخمور فى غرناطة نفسها.[٥]

صناعة السكر وتجفيف الفاكهة

تقدمت صناعة السكر فى إقليم غرناطة، فقد اشتهرت مدينة المنكب بزراعة قصب السكر وكان يصدر إلى البلاد الأخرى[٦]، كما انتشرت أيضًا فى فحص غرناطة[٧]

(١) مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ١٦٤ ـ ص ١٦٧ الرسالة الثامنة والعشرون.
(٢) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة: ص ٥٥.
(٣) ابن عبدون: المصدر السابق: ص ٥٥.
(٤) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، جـ ١ ص ٤٢٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص ٢٨٦ هامش ٣، القلقشندى: صبح جـ ٥ ص ٢١٨ المقرى: نفح الطيب، جـ ٤ ـ ص ٢٠٥، ص ٢٠٦ طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥١ طبعة ١٩٦٨.
(٥) ابن الخطيب: مخطوط الاسكوريال من الإحاطة لوحة ٢١ ـ ٢٥.
(٦) البغدادى: مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١٦٤، العمرى، وصف أفريقية ص ٤٦، الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعة دوزى) ص ١٩٩، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ١٠٩ حاشية ١، ص ٣٠٠ حاشية ٦، ياقوت: معجم البلدان جـ ٨ مادة منكب، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٦.
(٧) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ٨٦، ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار: ص ٢٤.

وشلوبين[١]، كذلك تقدمت صناعة تجفيف الفاكهة فى غرناطة تقدمًا ملحوظًا حيث كان فلاحو غرناطة يدخرون العنب سليمًا من الفساد طول العام[٢]، يقول ابن الخطيب «وفواكههم اليابسة عامة متعددة، يدخرون العنب سليمًا من الفساد إلى شطر العام، إلى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز إلى غير ذلك مما لا ينفد ولا ينقطع مدده إلاّ فى الفصل الذى يزهد فى استعماله[٣].

صناعة العطور والأدوية

انتشرت صناعة الأدوية فى إقليم غرناطة بفضل الأعشاب الطبية التى كانت متوفرة فى جبل شلير[٤]، يذكر ابن الخطيب «أن جبل شلير مستودع للأدوية والترياقية فهو أحد خزائن الأدوية فى إقليم غرناطة»[٥] ويذكر العمرى: «أن بهذا الجبل عقاقير كعقاقير الهند وعشب تستعمل فى الأدوية يعرفها الشجارون لا توجد فى الهند ولا غيره»[٦].

وازدهرت تلك الصناعة نتيجة لتقدم علم الكيمياء وازدهار الدراسات الطبية[٧] ويذكر السقطى أن صناعة العقاقير قد بلغت «نحو الثلاثة ألف فى العدد والاختراعات لا تنقطع»[٨]

(١) الإدريسى: المصدر السابق: ص ١٩٩، العمرى: وصف أفريقية: ص ٤٦، الحميرى: المصدر السابق: ص ١١١.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة: جـ ١ ص ١٣٧، ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ص ٤٠.

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق: جـ ١ نفس الصفحة، ابن الخطيب: اللمحة البدرية: نفس الصفحة.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٦، ص ٩٨ اللمحة البدرية ص ٢٢، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥، ص ٢١٥ ـ ص ٢١٦، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩ م، جـ ١ ص ١٤٨ طبعة سنة ١٩٦٨.

(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) العمرى: وصف أفريقية ص ٣٥، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٥ ـ ص ٢١٦، ابن الخطيب، المصدر السابق: جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية ص ٢٢ المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٤٢ طبعة سنة ١٩٤٩ م، ص ١٤٨، طبعة سنة ١٩٦٨.

(٧) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ٥٢، ص ٥٣، محمد المنونى: العلوم والآداب والفنون على عصر الموحدين ص ١٢١ تطوان المطبعة المهدية ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م.

(٨) السقطى المالقى: رسالة فى الحسبة ص ٤١، الباب السادس: عن العقاقير والعطور المستعملة فى المغرب والأندلس انظر مختصر الأدوية مخطوط لمؤلف مجهول الخزانة الملكية الرباط مخطوط رقم ٢٤٣٠، ١٦ ق وما بعدها.

وكان العطارون والصيادلة يقومون بتجهيز تلك الأدوية بناء على تعليمات الأطباء[١]، هذا وقد اتخذ هؤلاء العطارون والصيادلة دكاكين لهم فى الشوارع والأسواق، وخضعت تلك الصناعة لرقابة المحتسب»[٢] وشأن المحتسب فى هذا أن يقدم عليهم فى سوقهم من تعلم ثقته ودينه ومعرفته وبصره بالعقار وتميزه واعتناؤه بلقاء الشيوخ العارفين بذلك والأخذ عنهم فيه، وكذلك ثقات التجار المتجولين فى البلاد والأطباء العارفين، ويكون قد بلغت به همته أن يطالع أقوال المتقدمين فى اختبار ما يوجد من ذلك والكشف عنه إذ توجد لتلك الأشياء أشباه تماثلها فى الصفة والنوع وتنافيها فى الفعل والمنفعة سوى ما منها»[٣] فكان على المحتسب منع من ليس لديهم الخبرة فى صناعة الأدوية من ممارسة هذا العمل[٤] «هذا وقد نهى المحتسب العطارين والصيادلة من خلط العقار الطيب بالدون، والأشياء الهندية بالبلدية، وبيعها ممن لا يميزها ولا يفرق بينها. . . وكذلك ينهون عن خلط البذور الردية بالطيبة وبيعها على أنها طيبة، وأن لا يبيعوا شيئًا من العطور إلا مغربلاً»[٥].

الصناعات الفخارية والخزفية

تركزت هذه الصناعات فى إقليم غرناطة وتفوقت بعض مدن الإقليم فى صناعة الخزف والأوانى الفخارية كمالقة[٦] واندرش[٧] وبرجة[٨]، فصنعوا أشكالاً جميلة من المنتجات الضرورية الهامة كأوانى المطبخ التى كانت مستعملة فى ذلك الوقت[٩]، وقد اشتهرت مالقة

---

(١) السقطى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤٧، ابن عبد الرءوف: رسالة فى الحسبة ص ٨٦، ص ٨٧ المجيلدى: ص ١١٧، ص ١١٨.

(٣) السقطى: رسالة فى الحسبة ص ٤١.

(٤) موس إقبال: الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب ص ١١٠.

(٥) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق ص ٨٦.

(٦) ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٢٤، العمرى: مسالك الأبصار «وصف أفريقية ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٤٥ طبعة سنة ١٩٤٩، عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية فى المغرب والأندلس ص ١٠٥، ص ١٠٦.

(٧) الحميرى: الروض المعطار ص ٣١.

(٨) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٢٢٨.

(٩) محمد كمال شبانة: يوسف الأول: سلطان غرناطة ص ١٩٢.

بإنتاج نوع جيد من الفخار المذهب العجيب وكان يصدر إلى خارج البلاد[١]، وبمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب فيها إلى أقاصى البلاد[٢] وكانت مالقة تنتج أطباقًا من الخزف ذى البريق المعدنى قوام زخارفها مناطق فيها رسوم نباتية متنوعة[٣].

وكانت المرية تنتج بعض الأوانى الزجاجية[٤] الرائعة لكن بعد خراب المرية[٥] انتقلت تلك الصناعة إلى مالقة[٦] وكانوا ينتجون نوعًا من الزجاج يعرف بالفسيفساء ونوعًا آخر يعرف بالذليجى[٧] حيث كانوا يستخدمونه فى زخرفة المنازل.

وعلى الرغم من وجود الرخام الذى يستخدم لنفس الغرض فى مالقة إلا أن الأنواع السابقة من الزجاج كانت أرخص منه ثمنًا[٨].

وقد خضعت تلك الصناعات لرقابة المحتسب[٩] فكان يأمر الفخارين «بتسجيل ترابهم وتطييبه وأن يقللوا منه فى الرمل»[١٠] ويمنع الزجاجون عن جعل الأحطاب على مقربة من مكان النار خوفًا لئلا يتخذ النار فيها فتحترق، فتؤذى الناس والجيران[١١] ولذلك اتخذ فى غرناطة مكان لصناعة الفخار سُمى بربض الفخارين[١٢].

---

(١) ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٢٤ العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٥ طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٢ طبعة ١٩٦٨.

(٢) العمرى: المصدر السابق: ص ٤٧.

(٣) زكى محمد حسن: فنون الإسلام ص ٣٣٣ ـ ص ٣٣٤.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ١٩٧، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب: جـ ١ ص ١٥٤ سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٦٢ طبعة بيروت سنة ١٩٦٨.

(٥) عن خراب المرية: فى فترة الانتقال واستيلاء الروم عليها انظر الباب الأول، انظر العمرى: مسالك الأبصار مخطوط جـ ١٦ قسم ٢ ورقة ٣٢٣.

(٦) ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٢٤، ابن بطوطة الرحلة ص ٦٧، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٢ طبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٧ و ص ١٨٧ طبعة سنة ١٩٤٩ م.

(٧) المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٧، جـ ١ ص ٢٠٢ طبعة ١٩٦٨، حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون: ص ٢١٦.

(٨) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٥ ص ١٨٧، حسين مؤنس: المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٩) ابن عبد الرءوف: رسالة فى الحسبة ص ١١٢.

(١٠) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(١١) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(١٢) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤١.

ولقد أوردت كتب الحسبة أوامر المحتسب للفخارين «بألا يضعوا حوائجهم فى الطرق خيفة أن تفسد عليهم لتضييقهم الطريق بها فتكون داعية للشر والخصومة»[١]، وشاع استخدام الأدوات الفخارية حيث زاد الطلب عليها فى صناعة الأوانى الخاصة بالأغذية والأطعمة المختلفة فصنعوا القدور وأقداح الوضوء والغلال[٢].

الصناعات الجلدية

تقدمت صناعة الجلود فى إقليم غرناطة حيث أصبحت غرناطة مركز الدباغة الأساسى بدلاً عن باجة التى اضطرت بها الأمن خلال القرن السادس الهجرى.

وكانت المدابغ عادة تقام خارج أسوار المدن[٣] فكان يوجد بغرناطة مكان خاص بالدباغين عرف باسم باب الدباغين[٤]، حيث كان الدباغون ينزلون أطراف المدينة على ضفاف الأنهار اتقاء لرائحة صناعتهم[٥]، هذا وقد ازدهرت صناعة الجلود ولا سيما فى مالقة[٦]، فصنعت نوعًا من الجلود يسمى السفن وهو خشن غليظ كجلود الماشية يستخدم فى الصناعات الجلدية، فكانوا يصنعون منه الأغشية والأحزمة والمدورات والحقائب والأحذية[٧].

وقد خضعت هذه الصناعة أيضا لرقابة المحتسب[٨] «فلا يباح للدباغ بيع جلد إلا أن

(١) ابن عبد الرءوف: رسالة فى الحسبة ص ١١١، الجرسفى: رسالة فى الحسبة ص ١٢٤.

(٢) السقطى المالقى: رسالة فى آداب الحسبة، ص ٦٧.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ١٤، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى: ص ٢٢٩ «وكانت كورة باجة من الكور الغربية التى كانت من أعمال أشبيلية أيام بنى عباد متخصصة فى دباغة الأديم» المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥١.

(٤) العمرى (وصف أفريقية) ص ٤٠.

(٥) بروفنسال: محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٦٦.

(٦) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى: جـ ٥ ص ٢١٩، ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب: ص ١٥٩.

(٧) العمرى: (وصف أفريقية): ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، الاصطخرى: المسالك والممالك، ص ٣٥، ابن الخطيب: مشاهدات ص ١٥٩ «حفلت مكتبة الاسكوريال بكثير من أغلقة الكتب المزركشة الجميلة» كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة ص ١٩٢.

(٨) السقطى: ص ٦٣.

يكون قد خـرج ماؤه وتحققت فى دباغـه، ومتى يبس وطوى وتكسر فـهو غير جـيد الدباغ ويتقد فى ذلك لدلاليه ومن وجـد بعد ذلك فعله أدب ونكل»[١] كما «منع المحتسب صانع النعال من تغليظ حواشى النعل قبل خرزه»[٢].

وينهى المحـتسب «عن خلط جلد العنز مع جلد الضـان فى قرق[٣] ولا جراب ومتى وجد ذلك قطع فإنه دلس لا خير فيه»[٤].

كذلك كان «لا يسـمح لصانع الأقراق فى عمل قـرق إلاّ أن تتصل حاشيـتا جلده خرزًا واحدًا فى ظهره أو بوصل من الجلد صـغير لا يبلغ سعة الظهر ويكون مجـموعًا بالخرز لا بالتشبـيك، ومتى وجد على غيـر ذلك فليس بشىء ولا شىء فى القرق الاّ جلد على جلد وبينهما خرقة تغلظه وترقق جانبيه لا بما يدلس به المفسدون من كثرة الغراء والطين وكذلك يجعلون تحـت الأطراف لتصلب وتقف وعند اللبـاس ينكسر ويظهر تدلـيسه وفـساده ويمنع بالجملة بيع الأقراق وخرصتها إلا بعد التيبيس العام[٥].

(١) السقطى: فى أدب الحسبة، ص ٦٣.

(٢) ابن عبد الرءوف: رسالة فى الحسبة: ص ١٠٢.

(٣) القرق: كانت تصنع منه الأخـفاف،وسمى صانع الخف بالقراق، انظر السـقطى: نفس المصدر: ص ٦٣، ص ٦٤.

(٤) السقطى: نفس المصدر: ص ٦٣.

(٥) السقطى: المصدر السابق: ص ٦٤.

obeikandl.com

التجارة

شاركت التجارة الداخلية والخارجية فى ازدهار الحياة الاقتصادية فى بلاد الأندلس والمغرب عامة وإقليم غرناطة بصفة خاصة منذ أن تأسست دولة المرابطين ومن جاء بعدهم من خلفاء الموحدين، وكان لامتداد السلطة السياسية لدولتى المرابطين وخلفائهم الموحدين من حدود طرابلس شرقًا وصحراء المرابطين جنوبًا وبلاد الأندلس شمالاً[١]، مما أعطى الحركة التجارية بين مدن المغرب ومدن الأندلس نشاطًا لم تعهده من قبل، فقد شجع هذا التجار الذين كانوا يخضعون فى هذه المناطق لحكومة واحدة على تنشيط البيع والشراء وتبادل المنتجات والسلع المختلفة، فقد استطاعت دولة المرابطين بعد أن نجحت فى التوحيد بين أقاليم المغرب والأندلس أن تقر الأمن فى ربوع البلاد[٢]، وكذلك شجع الموحدون التجارة وخاصة التجارة الداخلية فنجحوا فى إشاعة الأمن فى جميع أرجاء بلاد المغرب والأندلس، كما عملوا على حماية التجار وتأمين الطرق وإصلاحها وتجهيزها بصهاريج مملوءة بالماء، كذلك قطعوا جميع المغارم والقبالات والمكوس التى فرضها المرابطون فى عهدهم الثانى[٣]، فشجعوا التجار على المجىء إلى البلاد[٤].

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٦٦، ص ١٦٧، ص ١٦٩، ص ٢٠٤، ص ٢١٠، المراكشى: المعجب: ص ٢٢٦، ص ٢٣٤، ص ٢٧٠، ص ٢٨٢، البيذق: أخبار المهدى ابن تومرت ص ٨٢ طبعة دار المنصور، السلاوى: الأستقصا جـ ٢، ص ٥١، ص ٥٤، ص ٦٦، ص ١٢٤، ص ١٣١، ص ١٤١، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين ص ٢٦٦ عن امتداد السلطة السياسية لدولة المرابطين فى المغرب والأندلس انظر محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس (عصر المرابطين والموحدين) القسم الأول ص ٣٦، ص ٥٧، قسم ٢ ص ٦١٧ وما بعدها، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٢٨٥، وما بعدها، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والثقافى جـ ٤ ص ١٢٥ جـ ١ سنة ١٩٦٧.

Scott, History of Moonish Empire, Vol 2: 107.

(٢) انظر العوامل المؤثرة فى الحياة الاقتصادية، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٢ وما بعدها.

(٣) عن ذلك انظر العوامل المؤثرة فى الحياة الاقتصادية من الرسالة، ابن القطان: نظم الجمان ص ١٦٧، مجهول: رسائل موحدية الرسالة الخامسة والسادسة طبعة سنة ١٩٤٩.

(4) Budgett, The Moorish Empire, P.45.

التجارة الداخلية وأهم مسالكها

هذا ولقد تأثرت الطرق التجارية الداخلية لإقليم غرناطة تأثيرًا كبيرًا بالتغيرات التى طرأت على مراكز الإنتاج الزراعى والصناعى وكثرة السكان أيضًا، والناظر فى الطرق البرية فى البلاد الأندلسية أو إقليم غرناطة خلال عصر المرابطين والموحدين لا يلمح تغييرًا فى أوضاع الطرق قبل هذه الفترة أو فى أثنائها، ذلك لأن مدن الأندلس كانت طرقها ممهدة[١] منذ فترة طويلة، فالمسافر فيها لا يحتاج إلى زاد لتوفره فى جميع المنازل المعروفة[٢]، يقول ابن الشباط: «هذا طولها (أى الأندلس) إلى الجنوب أربعون يومًا من غلسية إلى المرية، لا يتزود أحدٌ فيها بماء حيث سلك، ولأية قصد لكثرة أنهارها، وعيونها وآبارها: وربما لقى المسافر فيها فى اليوم الواحد أربع مداين، ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى». [٣]

وبالرغم من كثرة المرتفعات والأدوية، فقد كانت الطرق تربط جميع أرجاء البلاد الأندلسية بعضها البعض[٤] وأن التغيير الأساسى فى طرق البلاد الأندلسية خلال عصر المرابطين والموحدين إنما هو مقدار استعمال طريق دون آخر اعتمادًا على حالة الأمن[٥].

---

(١) ابن الشباط: صلة السمط صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص ١٠٠ المجلد الرابع عشر مدريد سنة ١٩٦٧ م ـ سنة ١٩٦٨.

(٢) ابن الشباط: وصف الأندلس من كتاب صلة السمط ص ١٠٠، الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) ص ٢٠٨.

(٣) ابن الشباط: وصف الأندلس المصدر السابق، تحقيق أحمد مختار العبادى ص ١٠٠ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، المجلد الرابع عشر مدريد سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ م، ابن الكردبوس تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط (نصان جديدان) قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١ ص ١٢٨ «غلسية» †(Galicia)تقع فى شمال غرب الأندلس.

(٤) المصدران السابقان ص ١٠٠، ص ١٠١، ص ١٠٢ طبعة ٢ سنة ١٩٦٧ م، ١٩٦٨ م والمجلد الرابع عشر ص ١٢٨ طبعة ١٩٧١.

(٥) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص ٣١٥.

ولهذا توفرت للبلاد شبكة من الطرق التجارية التى سهلت ربط المدن والمراكز التجارية مما كان له أكبر الأثر فى انتعاش التجارة داخل إقليم غرناطة والبلاد الأندلسية.

كانت قرطبة منذ زمن بعيد ملتقى شبكة مواصلات متشابكة[١] فمن قرطبة كانت تخرج شبكة من الطرق التجارية عددها ستة[٢] وهى على النحو التالى:

طريق من قرطبة إلى أشبيلية[٣]، فقادس، فالجزيرة الخضراء ومن أشبيلية يتفرع طريق آخر يذهب إلى شلب[٤].

أما الطريق الثانى فيخرج من قرطبة إلى طليطلة[٥]، فسرقسطة فلاردة[٦].

والطريق الثالث من قرطبة إلى غرناطة إلى مرسية فبلنسية[٧]، فطرطوشة فلاردة.

والرابع من قرطبة إلى مالقة[٨] مارًا بأستجة ثم إلى مرسية[٩] ثم يلتقى بالسابق.

أما الطريق الخامس فيمضى من قرطبة فسلمنقة فسمورة[١٠].

---

(١) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص ٢٨٧ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧٦ م - ١٣٨٦ هـ.

(٢) حسين مؤنس: المرجع السابق ص ٢٨٨.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض ص ١١٠ (بين قرطبة وأشبيلية ثلاثة أيام للمسافر ومن الأميال ثمانون) انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٨.

(٤) ابن حوقل: المصدر السابق: نفس الصفحة، حسين مؤنس: نفس المرجع والصفحة.

(٥) ابن حوقل: المصدر السابق ص ١١١ (بين طليطلة وقرطبة تسع مراحل، انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٣٠، هذا الطريق لم يستطع التجار ارتياده لانعدام الأمن فيه بعد سقوط طليطلة فى أيدى نصارى أسبانيا) عن سقوط طليطلة انظر الباب الأول ص؟.

(٦) حسين مؤنس: نفس المرجع ص ٢٨٨ تقع لاردة فى ثغر الأندلس الشرقى وهما فى شرق مدينة وشقة (انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٦٨).

(٧) يذكر ياقوت فى كتابه معجم البلدان: أن المسافة بين غرناطة وقرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا، انظر ياقوت: معجم البلدان مادة غرناطة، ابن حوقل: صورة الأرض ص ١١١ بين غرناطة وقرطبة على طريق بجسانة ستة عشر يومًا للمسافر انظر الحميرى: الروض المعطار ص ٤٧.

(٨) حسن مؤنس المرجع السابق ص ٢٨٨.

(٩) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١١١.

(١٠) حسين مؤنس: نفس المرجع ص ٢٨٩.

والطريق السادس من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء مارًا بأستجة وموررو وشذونة[١] هذا بالإضافة إلى طريق يربط قرطبة بالمرية وهذا الطريق يسلكه المسافر فى سبعة أيام[٢].

كذلك ربطت شبكة من الطرق التجارية الداخلية بين مدن إقليم غرناطة، فمدينة وادى آش ارتبطت بغرناطة بطريق تجارى و «هى قريبة من غرناطة»[٣] «كذلك بسطة وهى قريبة من وادى آش» «فى شمال شرق غرناطة» وتبعد عنها حوالى ١٣٣ كيلو مترا[٤]، أما لوشة من أعمال غرناطة أيضًا فكان الطريق بينهما حوالى ٥٥ كيلو مترًا، ويذكر المقرى أن بينهما مرحلة[٥].

أما مدن إقليم غرناطة الساحلية فقد اتصلت بعدة طرق تربط بينها، فبين المنكب وشلوبانية ستة عشر كيلو مترات[٦]، أما برشانة من أعمال المرية فقد كانت على بعد ثمانية ميلاً من المرية، وكذلك دلاية كانت تبعد بنحو تسع كيلو مترات[٧] عن برجة كذلك انتقيرة كانت تبعد عن مالقة بنحو تسعة وخمسين كيلو مترًا[٨].

---

(١) حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون ص عن موررود والمسافة بينهما وبين قرطبة انظر الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٨.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض ص ١١١.

(٣) الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) ص ٢٠٢ ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٩: القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٢١، الحميرى: المصدر السابق ص ١٩٢، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، ص ١٤٩ ١٩٦٨ «تقع مدينة وادى آش على بعد ثلاثة وخمسين كيلو مترًا شمال شرق غرناطة» المقرى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) الإدريسى: المصدر السابق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشية ٩، الحميرى: نفس المصدر ص ٤٤.

(٥) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ص ٢٨، مشاهدات ص ٩٣ حاشية ٦، المقرى: المصدر السابق جـ ١ ١٤٢ طبعة ١٩٤٩، ص ١٤٨ ١٩٦٨، الحميرى: نفس المصدر ص ١٧٣.

(٦) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٠ حاشية ٥، الحميرى: نفس المصدر ص ١٣٦ حيث أن بين المنكب وشلوينة عشرة أميال، ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٣٦ حاشية ١، ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٨١.

(٧) ابن الخطيب مشاهدات ص ٨٢ هامش ١.

(٨) ابن الخطيب: نفس المصدر ص ٩٤ حاشية ٦.

الأسواق

كانت الأسواق التجارية فى إقليم غرناطة محورًا للحياة الاقتصادية ولم تختلف أسواق إقليم غرناطة فى نظمها عن أسواق البلدان الإسلامية الأخرى، فقد كانت هذه الأسواق ذات نظم وقوانين متشابهة، وأغلبها كان مرتبًا ترتيبًا حسنًا، فمدينة مالقة ذات مبان فخمة وحمامات حسنة وأسواق جامعة كثيرة[١]، وكذلك مدينة وادى آش[٢] من أعمال غرناطة فهى بلدة «حسنة بديعة حصينة»[٣] أما بسطة فهى بلدة كثيرة الزرع اختصت بالزعفران «ذات أسواق وتجارات عامرة آهلة»[٤] «أما برجة من أعمال مالقة أيضا فكانت ذات أسواق وصناعات ويشتغل أهلها بتجارة الحرير»[٥] أما بليش مالقة فكانت «عامرة آهلة ضخمة الأسواق حولها ضياع كثيرة»[٦] كذلك احتوت مدينة المنكب على أسواق[٧] كبيرة كما يذكر المقرى «أنه لم يكن فى بلاد الأندلس أكثر مالاً من أهل المرية ولا أعظم متاجر وذخائر»[٨].

كما امتلأت مدينة غرناطة بالأسواق الممتلئة بالسلع المختلفة، يذكر ابن الخطيب أن أسواق غرناطة «قد غصت الدكاكين بالخضر الناعمة، والفواكه الطيبة والثمر المدخرة»[٩].

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٧، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠.
(٢) الحميرى: المصدر السابق ص ١٩٢، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٩ طبعة ١٩٤٨ م.
(٣) الإدريسى: صفة المغرب (نزهة المشتاق) ص ٢٠٢.
(٤) الإدريسى: المصدر السابق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشية ٩، الحميرى: نفس المصدر ص ٤٤.
(٥) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٢٨٨، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٣ طبعة سنة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٠ طبعة ١٩٦٨.
(٦) ابن سعيد: المصدر السابق جـ ١ ص ٤٤٢، ابن بطوطة: الرحلة جـ ٢ ص ١٨٧، ابن الخطيب: المصدر السابق ص ٧٨ حاشية ٦.
(٧) الحميرى: نفس المصدر ص ١٨٦.
(٨) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٣ طبعة ١٩٤٩ م، ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٨ م.
(٩) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١١٥، ص ١١٦.

ويذكر عثمان الكعاك أن الأسواق الإسلامية فى المغرب والأندلس شأنها شأن باقى الأسواق فى العالم الإسلامى، فكل سوق من الأسواق يضم عدة متاجر تتاجر فى سلعة واحدة[١] كسوق العطارين وسوق الفاكهة وسوق النحاسين[٢]، ومثل قيسارية[٣] غرناطة وكانت تقع بجوار المسجد الجامع فى غرناطة وكانت هذه السوق مخصصة لتجارة الأقمشة وأدوات الترف وكانت تسمى بالقيسارية[٤] وكانت هذه السوق تقع بالقرب من باب الرملة[٥]، وكذلك كان بغرناطة سوق خاصة بتجارة الرقيق[٦].

وكانت لبعض هذه الأسواق أيام معينة يعرض فيها التجار بضائعهم فكان هناك أسواق أسبوعية أو نصف أسبوعية فى القرى حيث تعرض فى هذه الأسواق المنتجات الزراعية والصناعية، كذلك كان يوجد بها تجار المواد الغذائية من جزارين وتجار السمك[٧] والفاكهة والخضروات والشوائية والقلائية وباعة العجين المقلى مع الجبن والأصناف الجيدة من الأمعاء المحشوة[٨]، ثم دكاكين بائعى السمن والعسل[٩] وبائعى اللبن[١٠] والحناطون وهم بائعو الشعير والقمح والفول والعدس والحمص، وبائعو الملح والخل[١١].

وكانت لهذه الأسواق آدابها العامة كأن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء فى أماكن البيع

---

(١) عثمان الكعاك: الحضارة العربية فى البحر المتوسط ص ٦٦.

1) Levi - Provinca l'Esp. Musl. op. cit.p. 188

(٢) عثمان الكعاك: الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط ص ٦٦.

(٣) قيسرية: والجمع قيسار ـ وهى السوق التجارية العامة انظر

Dozy: Supplement aux dictionnaires Arabes. 2 tomes (leiden - Paris 1987. 11, p. 432.

(٤) العمرى: وصف أفريقية ص ٣٨ انظر بروفنسال فى أدب الأندلس وتاريخها ص ٦٧.

(٥) العمرى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٢٠٧، ٢١٢.

(٧) السقطى: رسالة فى الحسبة ص ٣٢.

(٨) السقطى: المصدر السابق، ص ٣٢ ـ ص ٣٩.

(٩) ابن عبد الرءوف: ص ١٠٥.

(١٠) السقطى: المصدر السابق ص ٦٩، ابن عبد الرءوف: المصدر السابق ص ٩٢.

(١١) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤٣.

داخل الأسواق[١] ومنع طرح الأزبال والقاذورات[٢] وإيقاف الدواب بالخشب والحطب واجتيازها السوق بالشوك[٣]، فكان يمنع دخول الدواب القيسارية والأسواق ويمنع توقيفها فى الطرق الضيقة ومن إرسالها من غير ماسك لها[٤]، وكان أهل المدينة مسئولين عن تنظيف أسواقهم من القاذورات والطين ونقل تلك الأوساخ إلى خارج البلد[٥]، وكذلك كان ينهى عن الرش أمام الحوانيت حتى لا ينزلق أحد المارة[٦].

الرقابة على الأسواق

اتخذت الحكومة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين نظامًا دقيقًا للإشراف على الأسواق والتجار وكان هذا النظام يتمثل فى المحتسب.

فعرفت إدارة الأسواق باسم الحسبة[٧].

وقد عرف المحتسب فى بلاد الأندلس والمغرب باسم صاحب السوق[٨] وصاحب الحسبة[٩].

وقد استمر هذ الاستعمال فى القرن السادس[١٠] الهجرى، ولعبت الحسبة دورًا عظيمًا

---

(١) الطرطوشى: الحوادث والبدع، تحقيق الطالبى ص ٤١ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد مجلد ٤ سنة ١٩٥٦.

(٢) أحمد سعيد (المجيلدى) التيسير فى أحكام التسعير تحقيق موسى لقبال الجزائر سنة ١٩٧٠ ص ١٠٥، ابن عبد الرءوف ص ١١٠: رسالة فى الحسبة: ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٥٣.

(٣) المجيلدى: المرجع السابق ص ١١٠.

(٤) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق ص ١١١.

(٥) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق: ص ١١٠.

(٦) ابن عبد الرءوف: رسالة فى الحسبة ص ١١١، يحيى بن عمرو: أحكام السوق ص ١٢٦، ص ١٢٧.

(٧) انظر عن استعمالها: ابن الفرضى. بغية الملتمس ص ٣٧٠ ابن الأبار: الحلة السيراء جـ ٢ ص ٧٦، التكملة: جـ ١ ص ٣٤٢، ابن سعيد المغرب جـ ٢ ص ٣١٣.

(٨) يحيى بن عمر: أحكام السوق ص ١٠٨ تحقيق حسين مؤنس وكذلك فى المشرق، انظر تاريخ خليفة بن خياط جـ ١ ص ٦٢.

(٩) تاريخ قضاة الأندلس: ص ٥، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢.

(١٠) ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢٠، وما بعدها.

بجانب وظيفتى القضاء والمظالم فى إقرار العدل بين الناس، «فالحسبة كانت من الوظائف الإسلامية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»[١].

ومن هذا المفهوم شجع المرابطون والموحدون الحسبة بمعناها العام من أمر بمعروف ونهى عن منكر وجهاد فى سبيل الله[٢].

وكان القاضى يولى محتسب السوق[٣]، «فوظيفة المحتسب داخلة فى عموم ولاية القاضى يولى باختياره»[٤] وفى بعض الأحيان كان الوالى هو الذى يقوم بتعيين صاحب السوق[٥]، ويقوم المحتسب بهذه الوظيفة، وليس من حقه أن يتشاغل عنها بغيرها، وهو مأجور عليها براتب يقبضه من بيت المال[٦].

هذا وقد حدد العلماء الشروط الواجب توافرها فيمن يقوم بوظيفة المحتسب، فيجب أن يكون فقيهًا عارفًا بأحكام الشريعة حرًا عادلاً ذا صرامة وخشونة فى الدين لا يميل ولا يرتشى[٧]

ولما كانت وظيفة المحتسب ذات طابع دينى من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فكان عليه أن يدعو الناس إلى قمع الظلم والجور والسعى إلى العدل والتعلق به، فكان

(١) ابن خلدون: المقدمة: طبعة الكشاف بيروت ص ٢٢٥ ومطبعة الشعب ص ٢٠٢، ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام ص ٩، ابن بسام نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٠، الماوردى: الأحكام السلطانية ص ٢٢٧ ـ ٢٤٠ طبعة ١٩٦٠ مكتب الحلبى صبحى الصالح: النظم الإسلامية: ص ٢٢٨، ص ٢٢٩.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٢١، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ القسم الموحدى (تحقيق هويثى ميراندا ص ٣١).

(٣) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام (المعروف بالأحكام الكبرى): مخطوط ورقة (٢) النباهى: تاريخ قضاة الأندلس ص ٥، موسى لقبال: الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى نشأتها وتطورها ص ٢٧ الطبعة الأولى الجزائر ١٩٧١.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥.

(٥) ابن خلدون: المصدر السابق ص ٢٢٥، يحيى بن عمر: أحكام السوق ص ١٠٣، ص ١٠٤.

(٦) الماوردى: الأحكام السلطانية ص ٢٣١.

(٧) الشيزرى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ٦، تحقيق البار العرينى، الماوردى: الأحكام السلطانية ص ٢٤١ سنة ١٩٦٧ مطبعة الحلبى، ابن عبدو: رسالة فى الحسبة ص ٢٠، عطية مشرفة: القضاء فى الإسلام ص ١٧٩.

عليه أن يأمر الناس بـإقامة الصلوات الخمس وصلاة الجـمعة[١]، كما ينظر المـحتسب فى مراعـاة الأحكام الشرعـية، ويسهـر على إقامـة الحدود، تمـتد سلطته إلـى الإشراف على الأسواق[٢] ومراقـبة المعـاملات التجارية داخل أسـواق الأندلس والمغرب كـمراقـبة البيع والشراء ومراقبة الموازين والمكاييل، فكان عليه «التأكد من سلامة الوزن»[٣] وذلك حماية للمستهلك[٤] كمـا أن عليه منع الاحـتكار[٥]، كمـا كان من حقـه تحديد أسعـار المبيـعات ومراقبة من يبيع مبـيعات بسعر أعلى[٦]، فيتـفقد اللحـوم ويجب على بائعى اللحوم وضع ورقة بسعر ما يبيعونه من اللحوم[٧]، وعليه مراقبة التـجار داخل الأسواق التجارية[٨]، كما كان عليه أن يتفقد أمورهم وصنائعهم ويمنعهم من تعطيل الناس فى حوائجهم[٩].

وكان صاحب السوق، يعاقب المخالفين داخل الأسواق التجارية للمرة الأولى بالتوبيخ والزجر وفى المرة الثانية بالسجن والوعيد وفى الثالثـة بالضرب والتشهير وإن عاد المخالف للمـرة الرابعة فـيعـاقبـه بالتنكيل ورفـعه عن سـوق المسلمـين[١٠] «وأحـيانا نفـيه خـارج الوطن[١١].

---

(١) ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام ص ٩، ص ١٠، ص ١١ دمشق ١٩٦٧.

(٢) المقدمـة: ابن خلدون ص ٢٢٥، حسن إبراهيم: النظم الإسلامية ص ٢٧١، صـبحى الصالح: النظم الإسلامية ص ٣٣٠، أحمد شلبى: السياسة والاقتصاد ص ١٧٠.

(٣) السقطى: أدب الحسبة ص ٢١، ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٤٣.

(٤) تدور رسائل كل من السـقطى، وابن عبـدون والجرسفى وابن عـبد الرءوف ـ كلها من العـصر المرابطى والموحدى ـ حول واجبات المحتسب وسلطاته، انظر ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٢٠، ص ٢١، ص ٤٣، السقطى ص ٢، ص ١٢.

(٥) السقطى: ص ١١، ص ٣١، ص ٣٤، ابن عبدون ص ٤٢.

(٦) المـقرى: نـفح الطيب جـ ١ ص٢٠٣ ـ ص٢٠٤ طبـعة سنـة١٩٤٩، ص٢١٨ ص٢١٩ طبعـة ١٩٦٨.

(٧) المقرى: المصدر السابق ص ٢٠٣، ص ٢١٨ طبعة ١٩٦٨.

(٨) المقرى: المصدر السابق نفس الصفحة، ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥.

(٩) السقطى: أدب الحسبة ص ٦٢.

(١٠) السقطى: فى أدب الحسبة ص ٩.

(١١) الشيزرى: نهاية الرتبة ص ١٤.

كما كان من حق المحتسب (صاحب السوق) طرح الشيء المغشوش وإتلافه[١] ويبدو أن ظاهرة الغش[٢] فى الأسواق انتشرت فى تلك الفترة وهو ما تؤكده كتب الحسبة المعاصرة.

كذلك كان على المحتسب أن يشرف على تأمين حراسة الأسواق ونظافتها[٣] ... لمافة المأكولات المعروضة ومنع أهل البلاد من بيع ما يؤكل أو يشرب[٤] حمايتهم من الأمراض، ويضاف إلى هذه الاختصاصات حقه فى الإشراف على التعليم والمعلمين واختيارهم ومنعهم من إيذاء المتعلمين[٥].

وحتى يؤدى صاحب السوق وظيفته كاملة كان يستعين بالأعوان والغلمان[٦] لمساعدته فى عمله، فكان يختار رجالا يثق فيهم من أهل الأسواق ووجوه أرباب الصنائع ويستظهر بهم على الباقين حتى يطلعوه على ما خفى من أسرارهم وخبيث تصرفاتهم[٧]، وما يجلب إلى سوقهم وما تستقر عليه من الأسعار وغير ذلك من الأسباب التى يلزم صاحب السوق معرفتها[٨].

ولذلك كان الحرفيون والتجار منتظمين فى طوائف على رأس كل منها عريف أو

(١) السقطى: المصدر السابق ص ١٠ ص ١٢، ص ١٣، ص ١٤، ص ١٥، ص ١٦، ص ٢١، ص ٤١، وما بعدها، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤١، ص ٤٢، عبد المنعم ماجد: الحضارة الإسلامية ص ٥٦.

(٢) السقطى: أدب الحسبة، ص ١، ص ١٢، ص ١٣، ص ١٤، ص ١٥، ص ١٦، ص ٢١، ص ٤١ وما بعدها، ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٤١، ص ٤٢ عن الغش فى الأسواق انظر نوازل ابن رشد (مخطوط رقم ١٠٧٢) عربى (المكتبة الوطنية باريس) ١٠١ ق، البرزلى (أبو القاسم أحمد البلوى) جامع مسائل الحكام مما نزل بالمفتين والحكام مخطوط رقم ٤٨٨٤ الخزانة الملكية الرباط ١٣٨ و ١٣٩ و ص ١٥١.

(٣) ابن عبد الرءوف: رسالة فى الحسبة ص ١١١.

(٤) ابن عبدون: المصدر السابق ص ٥٠، ابن عبد الرءوف: المصدر السابق ص ٩٣، المجيلدى: التسعير: ٦٥.

(٥) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥، المرير: الأبحاث السامية جـ ٢ ص ١٢٢ تطوان سنة ١٩٥٢.

(٦) ابن بسام: نهاية الرتبة ص ١٠، ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٥.

(٧) السقطى: نفس المصدر، ص ٩.

(٨) الشيزرى: المصدر السابق ص ١١.

أمين[١] له السلطة عليهم وهو مسئول عن كل ما يحدث مباشرة فى جماعته، فهو الخبير بالجيد والردىء من حرفته[٢]، وكان هؤلاء العرفاء والأعوان بمثابة العيون التى توصل لصاحب السوق الأخبار مما يؤدى إلى بث الرعب والخوف فى قلوب العامة[٣].

ويبدو أن بعض محتسبى الأسواق تركوا العمل لأعوانهم ولم يراقبوهم ولذلك شدد السقطى المالقى على وجوب قيام المحتسب على عمله بنفسه وعدم ترك ذلك لأعوانه[٤].

وقد استطاع الموحدون ضبط الأسواق وتنظيمها فعهدوا للأمناء بجمع ضرائب أسواقهم[٥]، فكان المنصور الموحدى يحرص على الاجتماع بأمناء الأسواق مرتين كل شهر لتفقد سيرتهم فى أسواقهم[٦].

أسعار السلع داخل الأسواق

أسعار السلع كانت غير ثابتة فهى تخضع للحالة الاقتصادية التى تمر بها البلاد عامة أو الأقاليم بصفة خاصة، ففى بعض الأحيان يكثر الإنتاج فيزيد عن الحاجة، فكان يصدر إلى خارج البلاد فتنخفض الأسعار نتيجة لذلك، وتنتعش الأحوال الاقتصادية[٧].

ففى أيام الشدّة حين يقل الإنتاج ترتفع الأسعار، مثل ما حدث عندما قلت الأقوات وارتفعت الأسعار فى غرناطة ووادى آش فى حملة ابن ردمير على غرناطة ووادى آش[٨] سنة ٥١٩ هـ[٩].

---

(١) ابن عبدون: ثلاث رسائل ص ٥٣.

(٢) المجيلدى: التسعير ص ٥٦، ابن عبدون رسائل فى الحسبة ص ٢٤، ص ٥٧، السقطى: فى أدب الحسبة ص ٩، الجرسفى: رسالة الحسبة ص ١٢٥.

(٣) ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام ص ٩، ص ١٠، ص ١١ طبعة ١٩٦٧.
انظر عبد العزيز سالم: قرطبة فى عصر الخلافة جـ ٢ ص ١٣١.

(٤) السقطى: نفس المصدر ص ٩، ص ١٠.

(٥) ابن عبدون: رساله فى الحسبة ص ٣٩، ص ٥٣، ص ٥٧، السقطى ص ٣٩، ص ٥٦.

(٦) عبد الواحد المراكشى: المعجب ص ٣٦٢ طبعة سنة ١٩٦٣.

(٧) انظر الصادرات والواردات.

(٨) عن هذه الحملة انظر ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٠٦ ـ ص ١١٤، ابن عذارى: البيان المغرب جـ٤ ص ٦٩، ص٧٠، ص ٧١، ص ٧٢، مجهول: الحلل الموشية ص ٩٠ وما بعدها.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق ٦٩، مجهول الحلل الموشية تحقيق عبد القادر زمامة ص ٧٥ ـ ص٨٠.

كما قلّت الأقوات فى إقليم غرناطة فى عصر الموحدين أثناء غدر ابن همشك[١] على غرناطة سنة ٥٥٧ هـ ومحاولة استيلائه عليها من أيدى الموحدين[٢]، ولكن تميزت الفترة التى نعرض لها برخص الأسعار بصفة عامة فمدينة مالقة كثيرة الفواكه رخيصة الأسعار، يقول المقرى: «رأيت العنب يباع فى أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير»[٣] وامتلأت أسواقها التجارية بأنواع السلع من شعير وقمح وذرة وأصناف فاكهة[٤].

كذلك اشتهرت مدينة غرناطة بإنتاجها الوفير من أنواع الفواكه المختلفة[٥] «قد غصت الدكاكين بالخضر الناعمة والفواكه الطيبة والثمر المدخرة»[٦] أما دلاية من أعمال المرية فكانت وافرة الخيرات[٧] «وكان بالمرية من فواكه واديها الكثير الرخيص»[٨] هذا ولم ترتفع الأسعار فى فترة حكم المرابطين وخلفائهم الموحدين فى إقليم غرناطة إلا ما سبق أن ذكرناه، فمثلا كان سعر الجبن فى مدينة مالقة ربع جبن بستة عشرة درهما[٩]، ونصف ربع دقيق بستة دراهم[١٠] أما كراء الدار فكان فى المرية بثلاثة دنانير شهريا[١١]، كذلك كان ثمن الدابة فى غرناطة خمسين مثقالا[١٢].

---

(١) سبق التعريف به انظر الباب الأول ص ١٠٤، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨١، ص ١٩٦.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ١٨١، ص ١١٩٦م.

(٣) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٢ طبعة ١٩٦٨م.

(٤) ابن حزم: الرد على ابن النغريلة اليهودى ص ١٧٥، ص ١٧٧.

(٥) العمرى: وصف أفريقية ص ٣٦، ص ٣٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٥، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١١٥ ـ ص ١١٦.

(٧) ابن الخطيب: مشاهدات ص ٨٢ هامش ١.

(٨) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤.

(٩) السقطى: فى أدب الحسبة ص ٣١.

(١٠) السقطى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(١١) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٠ ص ٢٠١ طبعة دار صادر بيروت.

(١٢) الونشريشى: المعيار المغرب جـ ٩ ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

تسعير السلع

ومن السماوات البارزة فى غرناطة تسعير السلع مثل القمح والشعير وغيرها من السلع الغذائية الهامة التى يعتمد عليها عامة الناس[١].

وفى أغب الأحيان كانت الحكومة سواء فى المغرب أو الأندلس تتدخل لتحديد أسعار السلع بطريقة مناسبة حتى لا يقع فيها ظلم سواء على المستهلك أو التاجر، فكان تسعير السلع الغذائية يتم بالتراضى بين المحتسب والتجار[٢]، يقول ابن عبد الرءوف «فإن أراد الإمام العدل أن يسعر شيئا من ذلك فيجمع وجوه أهل السوق ذلك الشيء ويحضر غيرهم، استظهار على صدقهم فيسألهم كيف يشترون وكيف يبيعون فإن رأى شططًا فى البيع، نازلهم على ما فيه لهم وللعامة صلاح وسداد حتى يرتضوا به، ويتعاهد ذلك منهم بعد ذلك فى كل حين، فمن وجد منهم قد زاد فى الثمن، أمره أن يبيع كبيع أصحابه، وإلاّ أخرجه من السوق وأدّبه، وإن أراد واحد منهم أو اثنان أن يبيعوا بأرخص من ذلك، لم يمنع من بيعه، فإن كثر هؤلاء، قيل لمن بقى من أهل السوق: «إما أن يبيعوا كبيع هؤلاء وإلاّ فارفعوا» ولا يحل التسعير إلا عن تراض وعلى هذا أجازه، من أجازه ومن أكره الناس على التسعير فقد أخطأ[٣].

وإذا اشترى رجل سلعة بأكثر من ثمنها ثم عرف الثمن الحقيقى فله الرجوع إلى البائع بما بقى له[٤].

الفنادق

أدى ازدياد النشاط التجارى فى إقليم غرناطة فى عصر المرابطين والموحدين وكثرة عدد التجار الأجانب الواردين على تلك البلاد إلى بناء عدد من الفنادق داخل الأسواق

(١) أحمد سعيد المجيلدى: التسعير فى أحكام التسعير ص ٤٩ طبعة ١٩٧٠.
(٢) ابن عبد الرءوف: رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب ص ٨٩.
(٣) ابن عبد الرءوف: المصدر السابق نفس الصفحة.
(٤) المجيلدى: المصدر السابق ص ٥٥.

التجارية لمبيت التجار الأجانب وقد انتشرت هذه الفنادق فى إقليم غرناطة خاصة فى المدن التى اشتهرت بورود التجار الأجانب إليها مثل مدينة المرية[١] التى ازدحمت بأعداد كثيرة من الفنادق، يقول الحميرى: «وتحتوى مدينة المرية على ألف فندق إلا ثلاثين فندقا»[٢] وذلك لخدمة التجار الأجانب، يقول الحميرى: «وكانت المرية تقصدها مراكب التجار من الأسكندرية والشام»[٣] وقد جهزت هذه الفنادق لخدمة التجار الغرباء[٤]، فكانت تقام بجوار الحمامات[٥] «وغربيها - أى المرية - ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات»[٦] وفى موضع آخر «كان بها من الحمامات والفنادق نحو الألف»[٧] وكان لبعض البلاد الأجنبية ذات الصلة التجارية بإقليم غرناطة منشآت تجارية بها مثل فندق الجنويين[٨].

ولم تختلف نظم هذه الفنادق عن غيرها من فنادق المدن الإسلامية الأخرى سواء فى المغرب أو الأندلس أو المشرق فيذكر جمال سرور أن هذه الفنادق قد زودت بكنيسة ليقيم فيها التجار شعائرهم الدينية وفرن لصناعة الخبز وكان يشرف على الفندق من يسمى بالفندقى.

وكان فى هذه الفنادق مكان ليحفظ فيه التجار بضائعهم وتغلق بأقفال رومية الصنع[٩]،

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٣، ص ١٥٤، جـ ٤ ص ٢٠٦، جـ ١ ص ١٦٢، ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٨.

(٢) الحميرى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الحميرى: نفس المصدر: ص ١٨٤ «يقول المقرى: والمرية كانت محط مراكب النصارى» المقرى: جـ ٤ ص ٢٠٦.

(٤) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٠٩ «مثل فندق الجنويين فى غرناطة حيث كانت لهم منشآت تجارية بها» انظر:

4) Presscott: History of the reign of Ferdinand and Isabella p. 170 (London 1895).

(٥) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٤، جـ ١ ص ١٦٣ طبعة ١٩٦٨.

(٦) المقرى: المصدر السابق جـ ١ نفس الصفحة، جـ ١ صفحة ١٩٦٣ طبعة ١٩٦٨.

(٧) المقرى: نفس المصدر جـ ١ ص ١٥٢.

8) Presscott. ibd. p. 170.

(9) Heyd, Historie, du comnerce., Tom, 11 P.P 430

وقد انتشرت الفنادق فى غرناطة فكان بها فندق الجنويين[١]، والفندق الجديد وفندق زائدة وفندق السلطان[٢].

القياسر

أما القياسر فهى عبارة عن مجموعة من المبانى العامة تضم مخازن وحوانيت ومساكن لمبيت التجار وكانت تعرض فى داخل القياسر أنواع السلع المختلفة، وقد اشتهرت قيسارية غرناطة ببيع أنواع الحرير وصنوف السلع الفاخرة[٣]، كذلك كان بمدينة المرية قيسارية «قد رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل لها قد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد إليها الناس من أقطارهم»[٤].

وقد ضمت هذه القياسر بعض المساجد، كما كان يعلوها رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر[٥]، ويذكر حسن حسنى عبد الوهاب أن الحكومة كانت تقوم ببناء تلك القياسر وتأجيرها لأرباب الحرف والمهن والصناع والتجار مقابل كراء متفق عليه[٦].

التجارة الخارجية وأهم مسالكها

على الرغم من ازدهار التجارة الداخلية فى البلاد الأندلسية والمغربية فى عصر المرابطين وخلفائهم الموحدين فإن التجارة الداخلية قد واجهت صعوبات كثيرة نتيجة لعلاقات المرابطين وخلفائهم الموحدين، فقد واجهت التجارة الخارجية مع بلاد البحر المتوسط صعابًا كثيرة لأن علاقة المرابطين ببلاد البحر المتوسط كانت متوترة بسبب الحروب الطاحنة مع نصارى أسبانيا[٧].

---

(1) Presscott: Ibed. P 170.

(٢) ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة جـ ٢ ص ٥٧٦، ص ٥٧٧.

(٣) العمرى: وصف أفريقية ص ٣٨.

(٤) العذرى: نصوص عن الأندلس: ص ٨٦ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥ م.

(٥) المقريزى: الخطط جـ ٢ ص ٨٧، ص ٨٩، جمال سرور المرجع السابق ص ١٦٠.

(٦) حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات من الحضارة العربية ص ٧٢، ص ٧٣ جـ ٢ رقم ٢.

(٧) عن حروب المرابطين مع نصارى أسبانيا انظر ابن عذارى: البيان جـ ٤ ص ٣٣، ص ٣٤، ص ٥٠، ص ٦١ ص ٦٩، ص ٧٩، ص ٨٠، ص ٨١، ص ٨٨، ص ٨٩، ص ٩٠، ص ٩١، ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة قسم ٣ المجلد الأول ص٩٧، ص ١٠١، ابن أبى زرع: =

فكانت التجارة مع أوربا برّا لا تزدهر إلا فى سنوات الهدنة التى كثيراً ما كانت تنقض[١].

أما مصر الفاطمية، فكانت هى الأخرى على علاقة سيئة بدولة المرابطين وذلك بسبب اعتراف المرابطين بالدولة العباسية[٢].

وكانت العلاقات بين الأندلس والمغرب وبين صقلية ومدن إيطاليا تتأثر بالأحداث السياسية، وأصبح التنافس بينها على أشده خاصة بعد أن سيطرت المدن الإيطالية على تجارة البحر المتوسط فى أواخر القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)[٣] فيبدو

= روض القرطاس ص ١٥٢، ص ١٦٠، ص ١٦١، ص ١٦٢، ص ١٦٣، ص ١٦٤، ابن القطان: نظم الجمان ص ٦، ص ٩، ص ١٠، ص ١٣، ص ١٤، ص ١٩٧، ص ٢٠٠، ص ٢١٩، ص ٢٣٣ مجهول، الحلل الموشية ص ٧١، ص ٨٥ ص ٩١ ص ١٣٠، ابن الكردبوس: الاكتفاء ص ١١٠، ص ١١٤، ص ١٢١، السلاوى: الاستقصاء جـ ٢ ص ٦١، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٣٠٧، ص ٣١٣، ص ٣١٤، ص ٣١٦، ص ٣١٩، عنان، دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م ص ٦٠، ص ٦٢، ص ٦٤، ص ٦٧، ص ٩٦، ص ١١٩، ص ١٣١، ص ١٣٤، ص ١٣٥، ص ١٤٢، ص ١٤٣، ص ١٤٩، ص ٤٠٦، ص ٥٢٢، ص ٥٢٦، الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح العربى حتى سقوط غرناطة طبعة ١٩٧٦ ص ٤٢٨، يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، ص ٩، ص ٢٠، ص ٢٢، ص ٢٣، جـ ٢ ص ١٠، ص ١١، ص ١٧، ص ١٦٢، ص ٢٣٦، ص ٢٣٧ وما بعدها، أمبرسيوهويس ميرانده، على بن يوسف وأعماله فى الأندلس، مجلة تطوان ص١٧٢ وما بعدها عدد ٣ ١٩٥٨ ـ ١٩٠٩، حسين مؤنس: الثغر ص١١٥، ص١١٩، ص ١٤١.

(١) ابن عذارى: البيان جـ ٤ ص ٩١، ص ٩٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ ١٠ ص ١١٤ مجهول: الحلل الموشية ص ٢٩، ابن القطان: نجم الجمان، ص ١٠٠، محمد الفتيحى المراكشى: السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية القاهرة، مطبعة مصطفى البابى الحلبى طبعة ١٣٤١ هـ ص ١٥٣، ابن خلدون: المقدمة ص ٢٢٩، محمد ولد دادة: مفهوم الملك فى المغرب: بيروت دار الكتاب اللبنانى، القاهرة دار الكتاب المصرى المطبعة الأولى ١٩٧٧ ص ١١٣، أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، الأسكندرية الطبعة الأولى ١٩٦٨ ص ١٠٠، ص ١٠١، وما بعدها، راجع كذلك حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٣٥ ـ ص ٣٦٦، ص ٣٤٣.

(٣) عن قوة المدن الإيطالية وسيطرتها على غربى البحر المتوسط انظر أمارى: المكتبة العربية الصقلية ص ٢٨٢، ص ٢٨٣ ـ ص ٣٩٣، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٢٩ وما بعدها.
Barbour, N. "Sea Power...", P. 107.

أن كلا من المرابطين والمدن الإيطالية كان يتربص لـلآخر وينتهز كل منهم الفرصة للسيطرة على الجزء الغربى من البحر المتوسط- وقـد واتت المرابطين الفرصة حين استنجد بهم أبناء عمومـتهم الزيريون الصنهاجيون فـقام الأسطول المرابطى بغزو سواحل صـقلية وإيطاليا[١] وفى ذلك يقول ابن عذارى «وفى سنة ست عشرة وخمسـمائة أغزى أبو عبد الله محمد بن ميمون قائد أسطول على بن يوسف مدينة نوقطرة[٢] من عمل رجار صاحب صقلية ففتحها وسبى نساءها وأطفالها فيها وكان على ابنه يحيى صاحب المهدية كتب كتابا الى رجار عندما وقع بينهما وحشة يضمن تهديده فيه بإدخال الملثمين والعرب إلى صقلية فلما كان من غزو أبى عبد الله ما كان لم يشك رُجار صاحب صقلية أن السبب الباعث على ذلك والمحرك له صاحب المهدية، فاستنفر أهل بلاد الروم قاطبة (وأكثر) الاستنصار وأستجاش وحشد كأنما فى ذلك كله لأمره، فمنع السفر إلى سواحل المسلمين والتأم له ما لم يعهد مثله[٣].

وعلى الرغم من هذا العـداء والتـوتر فى العلاقـات بين المـرابطين والمدن الإيطاليـة وصقلية فقد حاول المـرابطون تشجيع التجارة الخارجية معهم، فـعقدوا معاهدة تجارية مع المـدن الإيطاليـة، خـاصـة بيـزا وجـنوة فى ٥٣١ هـ ـ ٥٣٢ هـ، (١١٣٧ م ـ ١١٣٨ م) وتشجـيعًا لهم على التـجارة مع الدولة المرابطية لـم يأخذ المرابطون سوى العـشر[٤] على تجارتهم، كذلك يذكر ابراهيم حركات فى كتابه المغرب عبر التاريخ أن جنوه أنشأت مدرسة لتعليم اللغة العربية حتى يتمكن التجار الجنويون من التعامل التجارى مع المسلمين فى بلاد المغرب والأندلس[٥] ونتيجة لهذه العلاقـات التجارية ازدهرت مدينة المرية وفى ذلك يقول

(١) أمارى: المكتبة الصقلية ص ٢٨٢ ـ ص ٢٨٣.

(٢) الصحيح بو قطرة انظر التصويب فى أمارى: المكتبة الصقلية ص ٢٨٢.

(٣) ابن عذارى: البيان المـغرب جـ ٤ ص ٦٦، ص ٦٧، عن ذلك انظر أيضًا ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ١١٦، وانظـر أيضا أمارى، المكتـبة الصقـلية ص ٢٨٢، ص ٢٨٣، وانظر، أحمد مخـتار العبادى، وسيد عبـد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامـية فى المغرب والأندلس طبعة ١٩٦٩ ص ٢٤٦، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٣٢٩ وما بعدها.

(4) Mas - Latrie, 1., Traite de paix et de commerce et documents divers concerent les relations des chretiens avec les arabes de l'Afrique
Septentrionale au moyen - age, Paris 1965, P.P 37 - 49

(٥) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ص ٣١٦، انظر أيضا حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس ص ٢٨٧.

المقـرى: «وبها كان محط مـراكب النصارى، ومجتـمع ديوانهم، ومنها كانت تسفـر لسائر البلاد بضائعهم، ومنهـا كانوا يوسقون جميع البضائـع التى تصلح لهم، وقصد بضبط ذلك بها حصر مـا يجتمع فى أعشارهم، ولم يوجد لهذا الـشأن مثلها، لكونها متوسطة ومـتسعة قائمة بالوارد والصادر»(١).

ومع ضعف المرابطين واشتداد ثورة الموحدين، انتهز نصارى أسبانيا فى فترة الانتقال الفرصة وتحالفوا مع جنوه وبيزا وخربوا المرية(٢).

وفى العصر الموحدى لم تكن علاقة الموحـدين ببلاد المشرق بأحسن حالا من علاقة المرابطين بها، فقـد كانت علاقات الموحدين متوترة مع الفـاطميين ثم الأيوبيين(٣) ولكن هذا لم يمنع التجار الأندلسيين والمغاربة من التجارة مـع مصر وبلاد المشرق، فمصر ـ كما يذكر حسن على حسـن ـ كانت فى طريق تداخل الحجاج المسافرة لتـأدية فريضة الحج فى كل عـام وكانت فى كـثيـر من الأحيـان تضم بعض أنواع المتـاجر التى تـحتاجـها الـمدن الشرقية(٤).

فكانت السفن التجـارية تقوم بنقل المنتجات الأندلسيـة والمغربية التى تحتـاجها بلدان المشـرق، فكانت السفن تخرج من مـيناء مالقة متـجهة إلى مـصر والشام والعراق مـحملة بالبضائـع المختلفة كالتـين المالقى(٥)، والحلل المـوشـاة بالذهب(٦) والملابس الكتـانية

(١) المغرب: نفح الطيب: جـ ٤ ص ٢٠٦ طبعة ١٩٤٩، جـ ٣ ص٢٢٠ طبعة ١٩٦٨.

(٢) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ١٩٨، المراكشى: المـعجب ص ٢٨٠، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ القسم المـوحدى ص ٣٣، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، ابـن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ٢٢٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان تحقيق إحسان عباس جـ ٣ ص ١٠٧.

(٣) ابن خلكان: وفيـات الأعيان جـ ٣ ص ٦٨ تحقيق إحـسان عباس، دار الثقـافة سنة ١٩٧٨ ـ سنة ١٩٧٢.

(٤) حـسن على حسن: الحـضارة الإسـلاميـة فى المغـرب والأندلس ص ٢٨٨، ص ٢٨٩، روجيـه لوتورنو: فاس فى عصر بنى مرين ـ ترجمة نقولا زيادة بيروت سنة ١٩٦٧ ص ٥٠.

(٥) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٨، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٢٠٥ طبعة ١٩٤٩ جـ ٣ ص ٢١٩ طبعة ١٩٦٨، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠.

(٦) ابن سعيـد: الجغرافيـا ص ١٤٠، المغرب فى حلى المغـرب جـ ١ ص ٤٢٣، العمرى: (وصف إفريقيـة) ص ٤٨، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠١ طبعـة دار صادر بيروت جـ ١ ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩.

الرفيعة، وكـذلك كانت مالقة تصدر الفخار المـذهب العجيب الشكل واللون[١] والبسط[٢] من غرناطة وبسطة.

وعلى الرغم من قوة الأسطول الموحدى[٣] فإنه لم يستطع السـيطرة على غرب البحر المتوسط وكانت العلاقات مع المدن الإيطالية رهنًا هى الأخرى بالعلاقات السياسية[٤]، ففى فتـرة الهدنة أبرم الموحدون اتفـاقيات تجارية مع جـنوه وبيزا، فأبرمت معـاهدة تجارية بين مـدينة جنوة ودولة المـوحـدين سنة ٥٤٨ هـ، ١١٥٣ م ثم فى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ضمنت حرية التجارة لرعاية جنوة برًا وبحرًا، كما نصت الاتفاقية على تخفيض العشور على تجارة جنوة[٥]، لكن الموحـدين لم يسمـحوا لتجـار بيزا بالتـجارة فى المـراسى والموانى الموحدية فى المغرب والأندلس إلا إذا جلب التاجر بضاعة بخمسمائة دينار[٦] ودلك بسبب أعمـال القرصنة التى كان يقـوم بها أهل بيزا فى البـحر[٧]، كمـا عقد المـوحدون فى سنة ٥٨٠هـ ١١٧٤ م مع بيزا معاهدة تجارية أخرى[٨].

---

(١) العمرى: نفس المصدر ص ٤٧، ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٣، الحـميرى: الروض المعطار ص ١٧٨، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ١٤٥ طبعة ١٩٦٨.

(٢) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشـية ٩ نشر أحمد مختار العبـادى، الحميرى: الروض المـعطار ص ٤٤، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠١ طبـعة دار صادر بيروت، جـ ١ ص ١٨٧ طبعة ١٩٤٩.

(5) A. Julien, Histoire de l'Afrique du Nord P. 124.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٥٥، أمارى: المكتبة العربية الصقلية، ص ٤٦١ ـ ص ٤٦٢.

(٤) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٣.

(5) Mas - Latrie, Traite du paix, P.P. 47 - 49, 89.

عن هذه الاتفاقـيات انظر مبـارك الميلى: تاريخ الجزائر العـام فى القديم والحديث جـ ٢ مطبـعة الجزائر ١٣٥٠ هـ ص ٢٥٠، عبد الرحمن بن محمد الجيلانى: تاريخ الجزائر العام جزءان بيروت ١٩٦٥ جـ ٢ ص ٣٢٠.

(6) Amario, M, 1. Diplomi, arabi del archivro, V. I., Firenze, le Monnier, 1863, pp. 11 - 12.

(٧) عن أعمال القرصنة التى قام بها أهل بيزا وشكوى الموحدين من ذلك انظر:

Amario, Diplomi arabi, P.P 8 - 9 - 33 - 35, 41 - 47, 66 - 67.

(8) Mas - Latrie, op. cit, P. 50

وفى عهد المنصور الموحدى عقد الموحدون اتفاقًا تجاريًا مع بيزا سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م أكدوا فيه على عدم نزول تجار بيزا ساحل المرية إلاّ للضرورة كإصلاح السفن مثلاً والتأكيد على منع القرصنة(١).

وعلى الرغم من أن مواقف الموحدين السياسية مع أغلب الدول المعاصرة لهم كان يشوبها التوتر فإنهم كانوا يرون ضرورة تشجيع التجارة الخارجية وخاصة مع الدول الإسلامية، فلم يأخذوا من التجار المسلمين الغرباء أية عشور على التجارة(٢).

وعلى الرغم من موقف دولتى المرابطين والموحدين من التجارة الخارجية عامة فإن هذا لم يمنع ازدهار تلك التجارة وامتلاء الأسواق المغربية والأندلسية عامة وأسواق إقليم غرناطة خاصة، بالبضائع المتنوعة من الشرق والغرب وازدهار الموانى والمدن الأندلسية كمالقة والمرية وغرناطة وغيرها بسبب التبادل التجارى مع معظم الدول الإسلامية فى المشرق والأوربية فى الغرب، فكان مرسى المرية «تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام»(٣).

لذلك ازدحمت تلك المدينة بالفنادق لإيواء التجار الغرباء(٤) فقد كان بها «ألف فندق إلا ثلاثين فندقًا»(٥).

كذلك اكتسبت مدينة مالقة شهرة واسعة فى تصدير منتجاتها إلى داخل البلاد وخارجها(٦)، فكان يحمل منها التين واللوز إلى مصر والشام والعراق(٧) «ربما وصل إلى

---

(١) عن نص هذه المعاهدة انظر: (3) Amario, op. cit, P.P 9 - 12, 22.

(٢) ابن جبير: رحلة ابن جبير، لأبى الحسين محمد بن أحمد، بيروت دار صادر ١٩٥٩ ص ٥٦.

(٣) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص ١٥٤.

(٤) المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٥٤، جـ ٤ ص ٢٠٦ جـ ١ ص ١٦٣، جـ ٣ ص ٢٢٠ طبعة ١٩٦٩.

(٥) الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٤.

(٦) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ٤٢٣، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، العمرى (وصف أفريقية) ص ٤٧، ص ٤٨.

(٧) المقرى: أزهار الرياض فى أخبار عياض جـ ١ ص ٤١، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٥ جـ. ١ ص ١٥٢ طبعة ١٩٦٨، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣.

الهند»[١] فاحتوت على أسواق جامعة كثيرة[٢]، هذا وقد زادت ثروة مالقة بسبب المكوس المفروضة على تجارة الصادر والوارد وخاصة تجارة الرقيق من الخدم المجلوبين من أرض الصقالية[٣].

كذلك صدرت مالقة الفخار المذهب العجيب الذى كان يصدر خارج البلاد[٤].

أما غرناطة فكانت من أهم المراكز التجارية إنتاجًا للكتان وتصديرا له[٥].

أما مرسى المنكب فقد ازدهرت التجارة فيه، فكانت المدينة تضم عددًا كبيرًا من الأسواق والأرباض مما جعلها مركزًا هامًا لتصدير عدة محاصيل أهمها قصب السكر والموز والزبيب[٦]، وكذلك مدينة بسطة كانت «ذات أسواق وتجارات عامرة آهلة»[٧] أما برجة من أعمال المرية ففيها أسواق وصناعات[٨] أما بليش مالقة فهى عامرة آهلة ضخمة الأسواق[٩].

الطرق البحرية

ربطت بين إقليم غرناطة والبلاد المغربية خطوط بحرية تجارية وكانت السفن التجارية تنتقل بصفة دائمة بين سواحل إقليم غرناطة إلى بلاد المشرق والمغرب عبر البحر المتوسط فقد اقتضت صعوبة الاتصال بين مدن الساحل فى البلاد الأندلسية برًا[١٠]، أن يكون طريق

---

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٨.

(٢) الحميرى: المصدر السابق ص ١٧٨.

(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٤٢٢، ص ٤٢٣.

(٤) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، المقرى: نفح الطيب جـ ٣ ص ٢١٩.

(٥) الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(٦) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٧، القلقشندى صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٨.

(٧) الإدريسى: صفة المغرب طبعة (دوزى) ص ٢٠٢، ابن الخطيب: مشاهدات ص ٣١ حاشية ٩، الحميرى: الروض المعطار ص ٤٤.

(٨) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٢٢٨، المقرى جـ ٢ ص ١٥٠ طبعة سنة ١٩٦٨: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٣ طبعة ١٩٤٩.

(٩) ابن الخطيب مشاهدات ص ٧٨ حاشية ٦، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٤٢.

(١٠) ابن سعيد: انظر كتاب الجغرافيا ص ١٦٧ فجبل شيلر نظرًا لوعورة مسالكه كان لا يستعمل إلا فى الصيف حيث لا يفارقه الثلج شتاء، انظر ابن سعيد المصدر السابق ص ١٦٧.

البحر أهم وسيلة فى تجارة بلاد الأندلس عامة وإقليم غرناطة بصفة خاصة وذلك بفضل مجموعة من الموانى الهامة مثل المرية[١] والمنكب[٢] ومالقة[٣] مما أكسب الإقليم أهمية تجارية خاصة، فكانت تلك المراسى تتصل بما يقابلها من مراسى البلاد المغربية ومنها إلى بلاد المشرق وأوروبا، فكانت السفن التجارية تنتقل بصفة دائمة بين سواحل المرية ومالقة والمنكب وبين تنس التى أنشأها بعض البحريين من الأندلسيين[٤]، وكان هناك خط بحرى تسير فيه السفن من مالقة متجهة الى نكور فى بلاد المغرب[٥].

ومن هذه الموانى تنطلق السفن الأندلسية متخذة الطريق البحرى من طرابلس إلى الإسكندرية وبلاد الشام وغيرها من بلدان المشرق[٦] لا سيما وأن الطريق البرى كان محفوفًا بالمخاطر[٧].

ولكن فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى كثر استعمال الطريق الذى يمر بالمدن الإيطالية وصقلية ومن صقلية يتفرع الطريق إما إلى الإسكندرية أو إلى عكا[٨]،

---

(١) عن المرية انظر: الإدريسى: صفة المغرب (ط.د) ص ١٩٧، ص ١٩٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٣ ـ ص ١٨٥.

(٢) عن المنكب انظر: الإدريسى: المصدر السابق ص ٢٠٢، الحميرى: المصدر السابق ص ١٨٦.

(٣) عن مالقة انظر الإدريسى: نفس المصدر والصفحة، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٤٢٣.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ١ ص ١٥٤.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ١ ص ٢٥٢.

(٦) عن هذه الموانى واتصالها ببلاد المشرق عن طريق تصدير منتجاتها انظر الإدريسى: نزهة المشتاق (صفة المغرب) ص ١٩٧، ص ٢٠٠، ابن سعيد: جـ ١ ص ٤٢٣، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣، الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٧ ـ ص ١٧٩، ص ١٨٣ ـ ص ١٨٤، ص ١٨٦، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٧، ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٨، ص ٢١٩، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٥، ص ١٥٤ ص ٢٠٥، ص ٢٠٦، جـ ١ ص ١٥٠، ص ١٦٢، جـ ٣ ص ٢١٩، ص ٢٢١.

(٧) عن هذين الطريقين انظر الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) ص ١٢٩، وما بعدها.

(٨) «لم تعد صعوبات البلاد الأندلسية والمغربية بعدما كانت فى النصف الأول من القرن السادس تجلب عن طريقها طرائف الهند والسند والعراق إلى البلاد المغربية والأندلسية» عن هذه الطرق انظر بعضًا عنها فى رحلة ابن جبير ص ٩، ص ٣١٠، ص ٣١٩، المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٨٥، ص ٣٨٨ طبعة دار صادر بيروت.

وربما كان السبب فى ذلك أن تجار المغرب أو الأندلس أصبحوا يفضلون طريق عكا على مصر التى كانوا يلقون فيها ضيقًا وعنتًا[١].

الصادرات والواردات

من خلال دراسة الصادرات والواردات لإقليم غرناطة نستطيع أن نقول إن الصادرات والواردات تمثل محاولة لسد حاجة البلاد بتصدير الفائض واستيراد الناقص وعلى هذا تنوعت صادرات إقليم غرناطة وتعددت، إذ صار الإقليم يصدر بعض حاصلاته الزراعية وما يصنع منها وبعض من ثرواته المعدنية المصنعة وغير المصنعة، وفى نفس الوقت استوردت البلاد بعض ما كان يلزمها من المواد الخام المصنعة وغير المصنعة، ومن أهم صادرات إقليم غرناطة:

المعادن

صدرت غرناطة إلى بلاد الأندلس والمغرب وغيرها من البلدان الذهب[٢] والفضة والحديد والرصاص والنحاس والتوتيا[٣]، ومن أشهر المدن الأندلسية استيرادًا لمعدن الذهب والتوتيا[٤] قرطبة حيث يصلها خاما ليصنع بها[٥].

أما مالقة فقد صدرت الياقوت الأحمر من ناحية حصن منت ميور[٦] كذلك صدرت مدينة المرية حصى ملون يشبه الدر فى رونقه وله ألوان عجيبة، فكان يتخذ للزخرف والزينة[٧]، وصدرت المرية إلى البلاد الأندلسية والمغربية ومعظم بلاد المشرق آلات

---

(١) عندما وصل ابن جبير إلى عيذاب اقتنع أن طريق عكا هو الأفضل انظر رحلة ابن جبير ص ٤٨.

(٢) ياقوت: معجم البلدان جـ ٤ مادة غرناطة، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٦٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، اللمحة البدرية ص ٢٢، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(٤) ابن غالب: فرحة الأنفس: ص ٢٨٣.

(٥) ابن غالب: المصدر السابق ص ٢٨٣.

(٦) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٣٨ طبعة ١٩٤٩ «استخدم هذا الياقوت فى صناعة الحلى من الجواهر والذهب انظر Scott: Hist. of the Moorish Empire. Vol 111. p. 628.

(٧) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٣٨ طبعة ١٩٤٩ ص ٢٠٢ طبعة دار صادر ـ بيروت.

الحروب من التروس والرماح والسروج واللجم والدروع[١]، بالإضافة إلى آلات الحديد من آلات العروس[٢]، كذلك صدرت مدينة مالقة الآلات المصنوعة من الحديد مثل المقصات والسكاكين والآلات اللازمة لمختلف الأغراض اليومية وكذلك التروس والرماح والدروع والسيوف[٣].

الفاكهة

واشتهرت مدن إقليم غرناطة بالإنتاج الوفير من أنواع الفاكهة المختلفة، فصدرت نوعًا من الكمثرى «وزن الحبة الواحدة رطل أندلسى ولها مذاق عجيب حيث كان يزرع فى جبل شلير»[٤] أما مالقة فصدرت الرمان المرسى والياقوتى وكذلك التين المالقى واللوز[٥]، فكان يصدر إلى داخل البلاد وخارجها[٦] فيحمل إلى مصر والشام والعراق[٧] وإلى بلاد

---

(١) الإدريسى: نزهة المشتاق طبعة (د) ص ١٩٧، المقرى: نفس المصدر جـ ١ ص ١٥٤ طبعة ١٩٤٩، جـ ١ ص ٢٠٢ طبعة دار صادر بيروت.

(٢) الإدريسى: المصدر السابق نفس الصفحة، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية ص ١٧١.

(٣) العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ٢٨٦ هامش ٣.

(٤) الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعة د) ص ٢٠١ عن فاكهة جبل شلير فى غرناطة انظر: ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٦٧، ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٩٨، وما بعدها، اللمحة البدرية ص ٢٢ وما بعدها، الحميرى: الروض المعطار ص ١١٢.

(٥) الإدريسى: نزهة المشتاق (طبعة د) ص ٢٠٠، العمرى: (وصف أفريقية) ص ٤٨، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩، ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ٤٢٣، ص ٤٢٤، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٨، جـ ١ ص ١٥٠ ـ ص ١٥٥.

(٦) ابن سعيد: الجغرافيا ص ١٤، المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ٤٢٣، الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) ص ٢٠٠، ص ٢٠٤، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٣، القلقشندى صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٩ «يذكر ابن سعيد فى كتابه الجغرافيا أن مالقة صدرت هذه الفواكه إلى الهند أيضًا، انظر المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٠، ص ١٥٥ طبعة ١٩٦٨، العمرى: وصف أفريقية ص ٤٧، ابن سعيد: نزهة الأنظار ص ١٤.

(٧) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، الحميرى: الروض المعطار ص ١٧٨، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥ طبعة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٠ ـ ص ١٥٥ طبعة ١٩٦٨.

الهند أيضًا[١]، أما الزبيب والموز وقصب السكر فكان أهم صادرات ثغر المنكب[٢]، كذلك صدرت البيرة من أعمال غرناطة الموز وقصب السكر[٣] وكانت هذه الفاكهة تباع فى أسواق بلاد المغرب[٤].

المصنوعات الذهبية والجلدية

ومن الصناعات التى اشتهرت بها مدينة مالقة «صناعة الفخار المذهب العجيب وكان يصدر إلى خارج البلاد»[٥] بالإضافة إلى المصنوعات الجلدية المصنوعة من نوع من الجلود يسمى السفن، وهو خشن كجلود الماشية، فكانوا يصنعون منه الأغشية والأحزمة والمدورات والحقائب والأحزمة[٦].

المنسوجات الحريرية والكتانية

ومن أشهر صادرات إقليم غرناطة المنسوجات الحريرية والكتانية، إذ صدرت مدينة المرية المنسوجات[٧] الحريرية من الديباج والسقلاطونى والأصبهانى والجرجانى والستور المكللة والثياب المعينة والعتابى[٨] الفاخر فكثرت الطرز بالمرية[٩] فبلغت طرز الحرير فيها

(١) يذكر المقرى أن مالقة صدرت هذه الفواكه إلى الهند أيضا انظر المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٤٤، ص ١٤٥، جـ ١ ص ١٥٠ ـ ص ١٥٥ طبعة سنة ١٩٦٨.

(٢) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٧، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٨، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٦، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ص ١٠٩ حاشية ١، ص ٣٠ حاشية ٦، الإدريسى: نزهة المشتاق ص ١٩٩، ياقوت: معجم البلدان مادة منكب، البغدادى: مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ١٦٤.

(٣) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد ص ٥٠٢، الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(٤) ابن سعيد: نزهة الأنظار ص ١٤، العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص ٤٧، القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٩.

(٥) العمرى: المصدر السابق ص ٤٧، القلقشندى نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٩.

(٦) الاصطخرى: المسالك والممالك ص ٣٥، العمرى: نفس المصدر ص ٤٨، القلقشندى: نفس المصدر جـ ٥ ص ٢١٩.

(٧) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٦، ص١٨٧ طبعة ١٩٤٩ وطبعة بيروت جـ ١ص ٢٠١، جـ ٣ ص ٢١٩ ـ ص٢٢١، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤، ابن سعيد كتاب الجغرافية ص ١٤٠.

(٨) عن هذه المنسوجات وتعريف أنواعها انظر فصل الصناعة ص؟ من الرسالة.

(٩) الإدريسى: نزهة المشتاق ص ١٩٧، ص ١٩٨، ابن غالب: فرحة الأنفس ص ٢٨٣، الحميرى: الروض المعطار ص ١٨٤.

فى عصر المرابطين ثمانمائة طراز[١]، كذلك صدرت مدينة مالقة المنسوجات المصنوعة من الحرير الموشاة بالذهب[٢] والتى كانت تصدر إلى بلاد المشرق والمغرب وتباع بأغلى الأسعار «وربما تجاوز ثمن الحلة الواحدة الآلاف[٣]» أما مدينة غرناطة فقد حازت شهرة واسعة فى تصدير نوع من الحرير كانت تنتجه المدينة يسمى بالملبد المختم ويمتاز بألوانه العجيبة حيث كان يصدر إلى خارج البلاد[٤] «فيعم الآفاق»[٥].

واشتهرت مدينة غرناطة أيضا بإنتاج الكتان وتصديره فكانت من أهم مراكز التجارة «إنتاجا للكتان وتصديرا له»[٦] «فكتان غرناطة يربو على كتان النيل»[٧].

أما الحرير الخام فقد صدرت غرناطة منه إلى مدينة فلورنسة فى إيطاليا كميات كبيرة[٨]، كذلك اشتهرت مدينة برجة بإنتاج الحرير والاتجار فيه[٩] كذلك صدرت قرية ولاية إحدى قرى ثغر المرية الحرير أيضا[١٠].

---

(١) الحميرى: المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ٤٢٤، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٤٠، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٦، ص ١٨٧ طبعة ١٩٤٩، جـ ٤ ص ٢٠٦، جـ ٣ ص ٢١٩ طبعة بيروت سنه ١٩٦٨.

(٣) المقرى: النفح جـ ٣، ص ٢١٩ طبعة سنه ١٩٤٩، ص ٢٠١ جـ ١ طبعة بيروت سنة ١٩٦٨.

(٤) المقرى: المصدر السابق جـ ١ ص ١٨٧، الملبد نوع من الحرير كان يصنع فى غرناطة» انظر Dozy, Diction. p. 114.

(٥) الحميرى: الروض المعطار ص ٤.

(٦) مجهول: الحلل الموشية ص ٩١ تحقيق عبد القادر زمامة، الحميرى: نفس المصدر ص ٢٤.

(٧) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٩٢، الزهرى: كتاب الجغرافيا ص ٩٦ «حاشية ص ٢٤٩» الحميرى: الروض المعطار ص ٢٤.

(8) Prescott. op. cit p. 170.

(٩) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ٢٢٨، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٤٣ طبعة ١٩٤٩، جـ ١ ص ١٥٠ طبعة سنة ١٩٦٨.

(١٠) ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ص ٨٢ هامش (١).

الواردات

وكـان من أهم الواردات التى تصل إلى إقليم غـرناطة القمح إذ كـان من أهم واردات مدينة المـرية «إذ ترد الحنطة إلى المريـة من بر العدوة»[١] أما مالقة فقـد استوردت التمر المجلوب من بلاد المغرب وخاصة فاس وتنس[٢]، أما الزيت فكان يأتى إقليم غرناطة عن طريق ميناء المرية ومالقة من سفاقس[٣]، أما جلد النمـر فكان يجلب إلى إقليم غرناطة من الجزيـرة الخضراء عن طـريق ميناء مـالقة[٤]، كـذلك صدرت بـلاد المغـرب إلى غـرناطة المنسوجات الصوفية[٥] المرتفعة الأثمان.

هذا وقـد زادت ثروة مالقـة بسبب المكوس المـفروضـة على تجارة الصـادر والوارد وخاصة تجارة الرقيق من الخدم المجلوبين من أرض الصقالية والسودان[٦].

هذا وقد لعبت الظروف السيـاسية دورًا هامًا فى منع التبادل التـجارى بين بلاد المغرب وإقليم غرناطة وذلك عندما امـتنعت مدينة مالقة عن الدخول فى طاعـة الدولة الموحدية،

---

(١) العمرى: وصف أفريقية ص ٤٦، القلقـشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢١٧ كذلك صدرت بلاد المغرب وخاصـة سواحل تلمسان والسهول الغـربية القمح إلى البلاد الأندلسية عـبر ميناء المرية، انظر الإدريسى: نزهة المشتـاق طبعة دورى ص ٧١، ص ٧٣ ـ ص ٧٤، ص ٨٠، ص ٨٣، ص ١٠٠، الاستبصار: تحقيق سعد زغلول عـبد الحميد ص؟ التادلى (أبو يعقوب يوسف بن يس بن عيسى): التشوف إلى رجال التصوف ص؟.

(٢) «حيث يذكر المقرى أن التمر معدوم فى البلاد الأندلسية» المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٦٦.

(٣) البكرى: ص ٢٠، ابن حوقل: صورة الأرض ص ٧٣.
البكرى: أبو عبيد بن عبد العزيز، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب تحقيق دى سيلان ط ٢ باريس ص ٢٠، كذلك كان الزيت يأتى إلى إقليم غـرناطة من أشبيلية أيضًا» خـاصة فى العصر الموحدى انظر الإدريسى: نزهة المشتاق (ط.د) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٥٨ طبعة ١٩٦٧ تحقيق إحسان عباس.

(٤) العذرى: جـغرافـيا الأندلس ص ٢٠، ص ١ تحـقيق عبـد العزيز الأهوانى مـدريد ١٩٦٥ معـهد الدراسات الإسلامية مدريد.

(٥) الإدريسى: نزهة المـشتاق (طـبعة دورى) ص ١٢٥، الزهرى: كـتاب الجـغرافـيا ص ١٠٨، ص ١٠٩.

(٦) الإدريسى: المصدر السابق ص ٦، مجهول: الاستبصار ص ٢١٥، ص ٢١٦.

فاتخذ الخليفة عبد المؤمن بن على قراره بمنع التبادل التجارى مع مالقة وقطع العلاقات التجارية بين بلاد المغرب ومالقة[١]، وظلت تلك العلاقات مقطوعة بين بلاد المغرب ومالقة إلى أن دخلت فى طاعة الموحدين ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م.

obeikandl.com

(١) مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ١٠، ص ١١ تحقيق ليفى بروفنسال.

النظام المالى

السياسة المالية المتغيرة

كان للنظام المالى دور بارز فى استقرار الحياة الاقتصادية ورفع مستوى الإنتاج فى إقليم غرناطة.

وقد حرص المرابطون فى أول الأمر على تنظيم الشئون المالية ومن الخطوات الأولى للمرابطين فى هذا الشأن بناء يوسف بن تاشفين قصبة صغيرة لخزن الأموال والسلاح بمراكش(١).

ومع اتساع رقعة الدولة المرابطية واتساع أعمالها، عمل يوسف بن تاشفين على تنظيم الدواوين(٢) «فدون يوسف الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد»(٣) هذا وقد التزم المرابطون فى بدء عهدهم «بأحكام الشرع ولم يفرضوا إلا ما جاء به الكتاب والسنة»(٤) وألغوا ما عدا ذلك من الضرائب(٥).

فعندما دخل يوسف بن تاشفين غرناطة «أمر بكتب الصكوك ورفع القبالات والخراج إلا زكاة العين وصدقة الماشية وعشر الزرع»(٦).

---

(١) ابن القاضى: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، القسم الثانى ص ٥٤٦ الطبعة الثانية طبعة دار، ص ٣٤٣ طبعة حجر فاس سنة ١٢٠٩ هـ المنصور للطباعة والوراقة، الرباط سنة ١٩٧٤ م، ابن عذارى جـ ٤.

(٢) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٣.

(٣) ابن عذارى: نفس المصدر جـ ٤ نفس الصفحة.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٣٧، انظر البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٦٤، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٤ ـ ص ٤٠٨، ص ٤٠٩.

(٥) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله ص ٢١٠ تحقيق ليفى بروفنسال ١٩٥٥

Lane - Poole - The Moorish Spain P. 179

G. F.P. Hopkins, Medieval Muslim, p. 41.

حسن أحمد محمود: المرجع السابق نفس الصفحات.

(٦) عبد الله بن بلقين: المصدر السابق ص ٢١٠ «وهى الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين» انظر ابن أبى زرع الأنيس المطرب ص ١٣٧ طبعة دار المنصور، عبد الله بن بلقين: المصدر ص ١٢٧، عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ص ٤١٠.

فقبل مجيء المرابطين كانت بلاد الأندلس تحفل بأنواع عديدة من الضرائب الجائرة[١]، فكان ملوك الطوائف فى البلاد الأندلسية يفرضون على الناس المعونة[٢]، وفى ذلك يقول ابن حزم «فإنما هى جزية على رءوس المسلمين بالقطيع ويؤدونها مشاهرة وضريبة على أموالهم»[٣].

ويذكر حسن أحمد محمود أن هذه الضرائب كانت وقتية يفرضها العامل متى شاء[٤]، كذلك كانت المكوس تفرض على التجارة المارة من مدينة إلى مدينة ومن إقليم إلى إقليم[٥].

هذا بالإضافة إلى القبالات[٦] التى كانت شر أنواع الضرائب وكان المتقبل شر جباة الناس[٧].

---

(١) عبد الله بن بلقين: التبيان ص٧٦، ص٧٧، ابن حزم: الرد على ابن النغريلة ص١٧٣، ص١٧٦.

(٢) المعونة: هى فى الأصل ضريبة يفرضها الأمير على رعاياه للقيام بواجب الجهاد إذا كان بيت المال خاليًا من الأموال، انظر ابن حزم: الرد على ابن النغريلة ص ١٧٦، انظر عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى ص ١٦٨، حسن أحمد محمود قيام: دولة المرابطين ص ٤٠٨، هذا وقد أوكل ملوك الطوائف جباية الضرائب الجائرة هذه إلى أهل الذمة من النصارى واليهود الذين تعسفوا فى جباية الضرائب «انظر ابن الكردبوس الاكتفاء» حيث يذكر أن ملوك الطوائف أوكلوا أمور المسلمين إلى اليهود، فعاثوا فيها عيث الأسود «الاكتفاء ص ٧٨، وخاصة فى غرناطة حيث ظلموا وتسلطوا على الرعايا من المسلمين أهل غرناطة، ابن بسام» انظر الذخيرة ق ٢ جـ ١ ص ٢٧٨ وما بعدها، ابن عذارى البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ ص ٢٦٤، ابن سعيد: جـ ٢ ص ١١٤، عبد الله بن بلقين: نفس المصدر ص ٥٤، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، طبعة ليفى بروفنسال ص ٢٣، ص ٢٣٠، المقرى: نفح الطيب جـ ٤ ص ٣٢٢.

(٣) ابن حزم: نفس المصدر ص ١٧٦.

(٤) عبد الله بن بلقين ص ٧٦ ـ ص ٧٧، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٨.

(٥) «كان المكس يستعمل كضريبة على التجارة وكانت مثل هذه المكوس يتضرر منها الفلاحون حيث كان إنتاجهم يباع فى الأسواق» انظر ابن خلدون: العبر جـ ١ ص ٢٧٩.

(٦) القبالة: هى فى الأصل ضريبة تدفع لبيت المال وقد أطلق استعمال هذا اللفظ على القبالات الزائدة على ما يقضى به الشرع وكانت هذه الكلمة تستخدم فى المغرب والأندلس للدلالة على الضرائب التى كان يؤديها أهل الحرف أو بائعو الرئيسية، انظر ابن القطان، نظم الجمان: تحقيق محمود على مكى ص ١٥٦.

(٧) «كان ملوك الطوائف يفرضون قبالات على كل ما يباع فى الأسواق ويشتطون فى جمعها حتى ضاق الناس ذرعًا بهذه القبالات (الضرائب)» انظر ابن حزم: الرد على ابن النغريلة ص ١٧٦، ص ١٧٧، ولذلك اعتبر ابن عبدون المتقبلين شر جباة الناس، انظر ابن عبدون: رسالة فى الحسبة ص ٣٠ ـ ص ٣٢.

فلما فتح المرابطون الأندلس أبطلوا كافة المكوس المفروضة على التجارة الصادرة والواردة وكذلك القبالات المفروضة على الأسواق داخل المدن الأندلسية[١] يقول ابن أبى زرع «ولم يجر فى عملهم طوال أيامهم (أى المرابطين) رسم مكس ولا معونة ولا خراج فى بادية أو حاضرة ولم يكن فى عمل بلادهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا توظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والعشور»[٢]

وبذلك التزم المرابطون بحكم الشرع فأخذوا الزكاة والعشر وخمس الغنائم وجزية أهل الذمة[٣].

غير أن هذه الضرائب الشرعية لم تعد تفى بالتزامات الدولة العسكرية فى الأندلس، خصوصًا فى عهد الأمير على بن يوسف بن تاشفين، فقد احتدمت معركة الجهاد فى الأندلس[٤] وتفجرت ثورة ابن تومرت[٥]، واضطرت الدولة إلى التصدى لهذه الثورات

---

(١) ابن القاضى: جزوة الاقتباس ص ٣٤٢، المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ١٠٨ طبعة ١٩٤٩ عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١١٩ ـ ص ١٢٠، ص ٣٤٠ ـ ص ٣٤١.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٧ «العشر ـ هو زكاة المحاصيل والثمار» عن ذلك انظر الونشريشى: المعيار المغرب جـ ٥ ص ٢١٣، جـ ٧ ص ٤٥.

(٣) ابن القاضى: جذوة الاقتباس ص ٣٤٢، عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١٢٧، الكبرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية ص ١٦٤، عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ص ٤٢٠.

(٤) ابن عذارى: التبيان المغرب جـ ٤ ص ٥٢، يذكر ابن عذارى «وفى سنة ثلاثة وخمسمائة تحرك أمير المسلمين على بن يوسف من مراكش إلى الأندلس برسم الغزو والجهاد وفتح مدينة طلبيرة وذلك أنه لما تمهدت المملكة لعلى بن يوسف ببلاد المغرب، تحرك إلى الأندلس فأجار البحر وتيمم أغرناطة وتلوم بها ريثما أجازت العساكر العدوية والحشود والمطوعات وتأهبت الجيوش الأندلسية» ابن عذارى: نفس الجزء والصفحة: انظر أيضا ابن القطان: نظم الجمان ص ١٣ وما بعدها، السلاوى: الاستقصا ٣ ص ٦٦، ص ١٠٩ ـ ص ١١٣.
المراكشى: المعجب ص ٢٣٥، عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية ص ٩١ سنه ١٩٦٩، المغرب الكبير ص ٧٤١.

(٥) ابن أبى زرع: نفس المصدر ص ١٦٥، ص ١٦٦، ص ١٦٧، ابن عذارى: نفس المصدر: جـ ٤ ص ١٠٣.

بالإضافة إلى أعمال البناء والتعمير التى قام بها المرابطون مما استلزم كثيرا من الأموال[١]، فيذكر ابن عذارى فى أخبار عام ٥١٩ هـ أنه «صدر حد فى التعتيب البلد «أى غرناطة» وقلد ذلك من وقع الاتفاق عليه من قاضى القطر أبى القاسم بن ورد وصاحب المستخلص أبى على بن هدية وقدم لقبض المعتب رجل من بنى نجبة لم يكن من الحزمة ولا من الخدمة فمزق المال كل ممزق، وعاش فيها كل ممخرق، وزم يناله جميع البنائين، وشد على الناس فى دفع المال، فكانت الآلات متمكنة والموردة متصلة»[٢] هذا بالإضافة إلى تقلص أراضى الدولة من الملكيات العامة[٣]، ثم عيشة الترف التى بدأت تدب فى حياة الدولة المرابطية[٤]، فمنذ واقعة أقليش (٥٠١ هـ / ١١٠٨ م) قلت غنائم المرابطين واشتدت سيطرة النساء المرابطيات على الأموال[٥]، يقول المراكشى «واستولت النساء على الأموال وأسندت إليهم (كذا) الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد شرير وقاطع سبيل وصاحب خمر ومأخور»[٦] فقلت الجباية وكثرت الضرائب على الشعبين المغربى والأندلسى فى كلتا العدوتين[٧]، يقول ابن عذارى: «وكان على بن يوسف فى آخر أمره امتنع الأعطاء لأجناده حتى رجع أكثرهم يكرون دوابهم»[٨].

---

(١) ابن عذارى: البيان جـ ٤ ص ٧٧، ابن المؤقت: السعادة الأبدية جـ ١ ص ١٤، انظر محمد الشطيبى المغربى: كتاب الجمان فى أخبار الزمان ورقة ٢١٠ مخطوط رقم ١٤١٦ دار الكتب المصرية، انظر ابن القطان نظم الجمان ص ١٩١، شعيرة: المرابطون ص ١٥٢.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٧٣، انظر عن زيادة نفقات البناء والتعمير فى عهد المرابطين، ابن المؤقت: السعادة الأبدية جـ ١ ص ١٤، انظر محمد الشطيبى: كتاب الجمان فى أخبار الزمان ورقة ٢١٠ مخطوط دار الكتب المصرية.

(٣) عن تقلص أراضى الدولة من الملكيات العامة انظر فصل الزراعة من الرسالة.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٦٧ «كانت أيامهم أيام دعة ورفاهية» المصدر السابق، نفسى الصفحة، انظر أيضًا احسان عباس: الجانب السياسى من رحلة ابن العربى إلى المشرق «مجلة الأبحاث: الجامعة الأمريكية بيروت ١٩٦٣ جـ ١٦ ص ٣٢٠، انظر أيضا جوليان: تاريخ أفريقية ص ٧٥ ترجمة طلعت عوض، على محمود: تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى ص ٢٨٤.

(٥) المراكشى: المعجب، ص ٢٤١.

(٦) المراكشى: نفس المصدر والصفحة.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ طبعة تطوان ص ١٣.

(٨) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ١٠٢.

فلما قامت الدولة الموحدية، حرص الخليفة عبد المؤمن بن على فى أول الأمر على إلغاء الرسوم والضرائب التى تخالف الشرع والتى فرضها المرابطون[١] «وفرضوا على الناس ما لم يوجبه الشرع[٢]»

وصدرت الرسائل الرسمية تعبر عن رفض الخليفة لكل أنواع الضرائب والمكوس والقبالات التى فرضها المرابطون[٣] ومن هذه الرسائل الرسالة الصادرة من تينمل فى السادس عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وهى موجهة إلى جميع الطلبة بالأندلس ومن صحبهم من الأشياخ والأعيان وقد جاء فيها: «ولقد ذكر لنا فى أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسى وغيرها ما رأيناه أنه أعظم الكبائر جرمًا وإفكًا وأدناها إلى تولاها رمادًا وهلكًا»[٤].

هذا، وقد ركز الخليفة عبد المؤمن بن على فى رسائله على أن من دخل فى طاعة الموحدين لا يطالبون إلا بما توجبه السنة وتطلبه «ولا يلزمون ـ معاذ الله ـ مكسبا ولا مغرما ولا قبالة ولا سيما مما تسميه الظلمة بأسمائها وتلقبه»[٥].

حتى إذا جاءت سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م فرض الخليفة عبد المؤمن بن على الخراج[٦] على الأرض، فقام بمسح شامل للأراضى الزراعية وأسقط ثلث المساحة فى

(١) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٥٦ ـ ص ١٥٨.

S. P. Scott, History of Moorish, Empire; P. 302.

G.F.P. Hopkins, Medieval Muslim, P.; 43.

(٢) تعاليق ابن تومرت، لأبى عبد الله محمد بن تومرت تحقيق غولد تسهير الجزائر ١٩٠٣ (أعز ما يطلب) ص ٢٦١.

(٣) راجع رسالة العدل فى نظم الجمان لابن القطان ص ١٥٦ ـ ص ١٥٨، مجموعة رسائل موحدية لمؤلف مجهول ص ٢١ ـ ص ٢٢.

(٤) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٥٦، ص ١٥٧.

(٥) ابن القطان: المصدر السابق ص ١٥٦، ص ١٥٧، البيذق: أخبار المهدى وابتداء دولة الموحدين، تحقيق ليفى بروفنسال باريس ١٩٢٨ ص ١٤٠، انظر أيضًا: مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ٢١ ـ ص ٢٢ تحقيق ليفى بروفنسال.

(٦) الخراج «هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عليها» انظر الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٤٦، عن الخراج انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة خراج: انظر: ضياء الدين الريس، الخراج ص؟.

مقابل الجبال والأنهار والطرقات وفرض الخراج على ما تبقى من الأرض[١]، يقول أبن أبى زرع: «وفى هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب وكسرها من بلاد أفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولاً وعرضًا فأسقط من الثلث فى الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والحزون، وما بقى قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب[٢]».

ويبدو أن صاحب روض القرطاس قد خلط بين فرض الخراج وطريقة جبايته، إذ أن المصادر لا تذكر أن خراجًا قد فرض فى هذه الفترة بل توضح أن عبد المؤمن بن على واجه أزمة مالية سببها خيانة العمال المشرفين على الجباية[٣]، كما يبدو أن الخراج لم يفرض فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على بل كان مفروضًا منذ عصر المرابطين، فالمراكشى يذكر أن الخراج كان يجبى فى أيام على بن يوسف[٤]، يقول المراكشى «وأمير المسلمين فى ذلك كله يتزايد تغافله ويقوى ضعفه، وقنع باسم إمرة المسلمين، وبما يرفع إليه من الخراج»[٥].

وعلى هذا نجد أن الحكومة الموحدية قد التزمت أحكام الشرع فى شأن الجباية والاقتصار فى ذلك على ما يجيزه الشرع من الزكوات والأعشار[٦]، كما سبق أن ذكرت

---

(١) ابن أبى دينار القيروانى: المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس طبعة ١ تونس ١٢٨٦ هـ ص ١١٢، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٢٥.

Julien, Historie du L'Afrique, P. 111 - 112.

Terrasse, Historie du Moroce, P. 311 - 312.

J.F, P. Hopkins; Medieval Muslim Government of Barbary until the six century of the Hijra, P. 34 - 35 London 1958.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٩٨ ـ ص ١٩٩، طبعة دار المنصور، عن ذلك انظر: السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٢٥، يوسف أشباح: تاريخ الأندلس جـ ٢ ص ٥٧، ص ٢٤٧، عنان: عصر المرابطين والموحدين جـ ١ ص ٣٧٧، Huici; M. Historia, - 1 -, P. 193.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ٤٤.

(٤) المراكشى: المعجب فى أخبار المغرب ص ٢٤١.

(٥) المراكشى: المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦) مجهول: رسائل موحدية، ص ٢١، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٢٦، ص ١٢٧، ص ١٢٨.

ولكن هذه العهود الرسمية التى كانت تستند فى جوهرها إلى تعاليم ابن تومرت ودعايته ضد الدولة المرابطية[١] فيما جرت عليه من فرض الضرائب غير الشرعية، لم تكن كما يذكر محمد عبد الله عنان سوى شعار مؤقت تستظل به الدولة الموحدية فى بداية عهدها، ذلك أنه لما توطدت دعائم الدولة الموحدية الجديدة، واتسع نطاق مسئولياتها المدنية والعسكرية، سواء فى المغرب أو الأندلس، كان من الواضح أن الاقتصار على تحصيل الفروض الشرعية فى شئون الجباية لا يمكن أن يفى بما تتطلبه نفقات الدولة، أو نفقات الجيش الموحدى فى المغرب والأندلس ومن ثم فقد اضطرت الدولة الموحدية إلى البحث عن موارد جديدة، لزيادة مواردها وتغطية نفقاتها[٢]، فكان مما فعله عبد المؤمن بن على فى ذلك قيامه بمسح بلاد أفريقية والمغرب وإسقاط مقدار الثلث من مساحتها، مقابل الجبال والأنهار والطرقات وفرض الخراج على ما تبقى بعد ذلك وألزم كل قبيلة أن تؤدى قسطها من الزرع والمال[٣].

هذا ولم يتخذ الخليفة عبد المؤمن بن على هذا الإجراء إلا بعد أن استقرت الأوضاع فى البلاد وصار له من القوة بحيث يفرض ما شاء من أنواع الضرائب ولذا لم يتخذ هذه الخطوة إلا سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م بعد سقوط دولة المرابطين بأربعة عشر عامًا، وتمكن سلطانه فى البلاد وصار لا ينازعه أحد[٤] ومن ثم فرض الخراج، وأصبح هذا الإجراء قاعدة سار عليها خلفاء الموحدين من بعده وأصبح من المصادر الثابتة لجباية الأموال مثل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[٥] «كان جماعًا مناعًا ضابطًا لخراج مملكته»[٦] وكذلك الخليفة المنصور الموحدى الذى سار على نفس سياسة أبيه وجده فى جباية الأموال[٧].

---

(١) مجهول: رسائل موحدية ص ٢١ ـ ص ٢٢.

(٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس قسم أول عصر المرابطين والموحدين، ص ٣٧٧، قسم ثانى، ص ٦٢٤ ـ ص ٦٢٥.

(٣) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٩٨ ـ ص ١٩٩، السلاوى: الاستقصا جـ ٢ ص ١٢٥.

(٤) حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس ص ١٩٧ ـ ص ١٩٨.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ ص ١٣٠.

(٦) ابن خلكان: المصدر السابق جـ ٦ نفس الصفحة.

(٧) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ١٩٥.

معنى هذا أن دولة المرابطين والموحدين كانت تلغى كافة الضرائب التى كانت سائدة قبل قيامها معتمدة على ما أجازه الكتاب والسنة ومع اتساع الدولة وزيادة نفقاتها تبدأ فى فرض ضرائب جديدة وتضع لها من المسميات ما شاءت وهذا يتفق ورأى المؤرخ ابن خلدون إذ يذكر «أن الدولة سواء قامت على سن العصبية أو الدين تكون قليلة الضرائب كثيرة الجباية فى أول عهدها، لأن الرعايا ينشطون للعمل فيكثر الاعتمار، وعندما تنتقل الدولة إلى الترف تكثر الضرائب، فيثقل ذلك على الناس، فيقل الاعتمار وتنقص الجباية ولا يكون ذلك إلا تدريجيا فإن أقوى الأسباب فى الاعتمار تقليل الضرائب على المعتمرين ما أمكن»[١].

مصادر دخل الدولة

اذن أصبحت مصادر المال للدولة هى الزكاة والخراج والعشور[٢] وجزية أهل الذمة[٣] بالإضافة إلى الغنيمة والمصادرات.

الزكاة

من المعروف أن أهم واردات الدولة الإسلامية هى الزكاة[٤]، فهى ركن من أركان الدين لذلك اتخذ ولاة الأمر من المرابطين والموحدين الزكاة مصدراً من مصادر الدخل للدولة، فابن ياسين منذ اللحظة الأولى التى فرض فيها سلطانه على بعض المناطق الجنوبية بالمغرب ألغى الضرائب والمكوس السابقة وفرض الزكاة مستنداً فى ذلك إلى

---

(١) ابن خلدون: المقدمة (العبر) جـ ١ ص ٢٧٩ ـ ص ٢٨٠.

(٢) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٦، ص ١٦٧، مجهول: رسائل موحدية ص ٢١ ـ ص ٢٢.

(٣) وهى ضريبة موضوعة على رءوس أهل الكتاب الذين يتمتعون بالأمن والحماية فى ظل الحكومة الإسلامية، انظر الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٤٢ ـ ص ١٤٤، صبحى الصالح: النظم الإسلامية ص ٣٦٣، الريس: الخراج والنظم المالية ص ١٢٢.

(٤) هى أول ضريبة إسلامية فرضت على الأغنياء والقادرين وكانت فى أول الأمر اختيارية غير محدودة الأنصبة والمقادير ثم أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يأخذها من أموال الأغنياء ليردها على الفقراء بمقتضى قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ سورة التوبة آية ١٠٣ انظر صبحى الصالح ص ٣٥٣.

الشرع[١]، وسار على نهجه أمراء المرابطين الذين جاءوا بعده، فعندما دخل يوسف بن تاشفين غرناطة، أبطل الضرائب والقبالات والخراج وألزم أهل غرناطة «بزكاة العين وصدقة الماشية وعشر الزرع»[٢].

فلما قامت الدولة الموحدية كانت الزكاة أيضًا من المصادر المالية التى لجأ إليها ولاة الأمر وحرصوا عليها باعتبارها من الأمور الدينية الواجب تنفيذها، واعتبر الخليفة عبد المؤمن بن على مانع الزكاة كمن منع كل الفرائض وهو يستحق الحرب والنكال[٣].

أما أصناف المال التى تؤخذ منها الزكاة فهى زكاة على الأموال وزكاة على الذهب والفضة والركاز وزكاة على الزرع والثمار وزكاة على المواشى والأنعام[٤].

ويشترط لإخراج الزكاة شرطان:

ملك النصاب الذى يختلف باختلاف هذه الأنواع المذكورة ومرور عام على الأقل على ملكية هذه الأشياء[٥].

أما مقادير الزكاة، فقد حددها القاضى عياض، على هذا النحو، زكاة النقد (الذهب والفضة) وتجب الزكاة فيها إذا بلغا النصاب، فنصاب الذهب عشرون مثقالاً ونصاب الفضة عشرون مثقالاً، أما زكاة عروض التجارة وفيها ربع العشر بشرط أن تبلغ قيمتها نصابًا من الذهب أو الفضة وأن يحول عليها الحول، والمعدن والركاز وما كان من ركاز أرض الحرب ففيه خُمس وما كان من أرض سلم ففيه الزكاة، وزكاة الزرع أو الثمار وحكم ذاتها هو أنه

---

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب: ص ١٢٦ طبعة دار المنصور «فكان كل من أقبل عليه تائبا منهم طهره بأن يضربه مائة سوط ثم يعلمه القرآن وشرائع الإسلام ويأمره بالصلاة والزكاة وإخراج العشر» انظر ابن أبى زرع: نفس المصدر والصفحة.

(٢) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله ص ٢١٠ طبعة ١٩٥٥ تحقيق ليفى بروفنسال.

(٣) مجهول: مجموعة رسائل موحدية ص ١٣٣.

(٤) القاضى عياض: الإعلام بحدود وقواعد الإسلام ص ٦٣ تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ١٩٦٤ الرباط، انظر أيضا صبحى الصالح: النظم الإسلامية ص ٣٥٥.

(٥) أبو عبد الله مالك بن أنس: موطأ الإمام مالك ص ١١٥، القاهرة ١٩٦٧ وانظر عن الزكاة أيضا حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية ٢٧٧، ص ٢٨٠، ص ٣٥٥، ص ٣٥٦، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤٠٩ هامش من ١ ـ ٥.

يجب فيها العشر إذا كانت خارجة من أرض تسقى بالمطر ونصف العشر إذا كانت أرض تسقى بالدلاء[١].

أما زكاة السوائم وهى الإبل والغنم فأول نصاب خمس وفيها شاة وهكذا فى كل خمس، شاة[٢].

الجزية

كان للمرابطين مواقف خاصة من أهل الكتاب ومن هذه المواقف تشددهم فى معاملتهم وقد ظهر ذلك حين فرض يوسف بن تاشفين على يهود قرية إليسانة[٣] مبالغ طائلة[٤]، يقول ابن عذارى: «وفيها أى سنة ٤٦٤ هـ افترض على اليهود فريضة ثقيلة فى جميع طاعته، اجتمع له فيها مائة ألف دينار عشرية ونيف على ثلاثمائة عشر ألف دينار»[٥].

الغنيمة[٦]

شكلت الغنيمة مصدراً هامّا من مصادر الدخل للدولة نظرا للمعارك المستمرة التى خاضها ولاة الأمر من المرابطين والموحدين ضد نصارى الأندلس[٧] وقد طبق عبد الله بن ياسين أحكام القرآن والسنة بشأن الغنائم فحين استولى المرابطون على سجلماسة ودرعة يقول ابن أبى زرع: «فأخذ عبد الله بن ياسين أموالهم ودوابهم وأسلحتهم مع الإبل التى

(١) القاضى عياض: المصدر السابق ص ٦٣ ـ ص ٦٤.

(٢) القاضى عياض: الإعلام بحدود وقواعد الإسلام، ص ٦٣ ـ ص ٦٤.

(٣) إليسانة قرية تقع شمال غرب لوشة بولاية غرناطة، عن إليسانة انظر الإدريسى: نزهة المشتاق (وصف أفريقية) ص ٢٠٥ (ط.د).

(٤) مجهول: الحلل الموشية: تحقيق عبد القادر زمامة ص ٨٠، ص ٨١ انظر عن ذلك عنان دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين قسم ١ ص ٤٢٠.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٥٣ تحقيق إحسان عباس.

(٦) الغنيمة مال من أموال الكفار ظفر به المؤمنون على وجه الغلبة والقهر، انظر الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٢١ وانظر صبحى الصالح: النظم الإسلامية ص ٣٦٦ ومعناها الاصطلاحى الفوز بالشىء انظر القاموس المحيط باب الميم فصل الغين مادة غنم.

(٧) عن حروب المرابطين ضد نصارى أسبانيا انظر الباب الأول من الرسالة.

أخذها فى درعة فأخرج منه خمس جميعه ففرقه فى فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهم وقسم الباقى على المرابطين»[١].

وعندما فتح المرابطون الأندلس أحرزوا النصر على النصارى فى معارك كثيرة وعلى رأسها الزلاقة[٢].

ولما قضى المرابطون على ملوك الطوائف استولى المرابطون على أموالهم وغنموا الكثير كما فعلوا فى غرناطة بعد استسلام أهلها[٣].

حتى إذا قضى الموحدون على المرابطين وسقطت مراكش استولى الخليفة عبد المؤمن بن على عليها وجعلها غنيمة للموحدين[٤]، ثم واصل عبد المؤمن بن على انتصاراته العسكرية فاستولى على أموال ضخمة من الغنائم التى حصل عليها من حروبه فى الأندلس، فعند انتصاره على ابن همشك فى غرناطة، استولى الموحدون على غنائم كثيرة فرقها الموحدون على أنفسهم[٥].

المصادرات:

يشير ابن عذارى[٦] إلى وجود ظاهرة مصادرة الدولة لأموال عمالهم على أقاليم الدولة المختلفة، فحين أوكل المرابطون جباية الأموال إلى الجباة، اشتط هؤلاء الجباة فى أخذ الضرائب من الناس فنقموا عليهم، فأراد على بن يوسف أن يحد من ظاهرة سوء معاملة الجباة للناس، فبدأ بمحاسبتهم فأمر بمعاقبتهم ومصادرة أموالهم، كما فعل بعامل الجباية فى غرناطة عيسى بن الوكيل[٧]، فيضيف الحميرى فى كتابه الروض المعطار «أنه كان فى

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ١٢٨ طبعة دار المنصور.

(٢) عن الزلاقة: انظر السلاوى: الاستقصا ص ٣١ ـ ص ٤٦، ابن أبى زرع المصدر السابق ص ١٤٥ وما بعدها.

(٣) عبد الله بن بلقين: التبيان ص ٢٠٩ ـ ص ٢١٠ تحقيق ليفى بروفنسال.

(٤) مجهول: الحلل الموشية ص ١٤٣ طبعة دار المنصور.

(٥) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٠ وما بعدها.

(٦) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٧٧، عن اشتطاط الجباة فى أخذ الجباية، انظر: ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية ص ٢٨ ـ ص ٣٠، ص ٣١.

(٧) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ نفس الصفحة.

الدولة اللمتونية فحكى أنه انكسر عليه مال جليل يبلغ عشرة آلاف دينار فقبض عليه وأشخص إلى مراكشى»[١].

هذا وقد يحدث أن تصادر الخلافة أموال أحد العمال ثم تكتشف ظلم هذا الإجراء فترد له أمواله وهذا ما حدث لمحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف من أهل قلعة يحصب من إقليم غرناطة، وقد تولى عدة أعمال للموحدين[٢] يقول المقرى: «وكان محمد ابن عبد الملك بن سعيد وزيرًا جليلاً، بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهمة، كثير الأموال. . . وولى للموحدين أعمالاً كثيرة بمراكشى وسلا وأشبيلية وغرناطة واتصلت ولايته على أعمال وكان من شيوخها وأعيانها وكتب عليه عقد أن فى داره من الحلى وأصنافه ما لا يمكن إلا فى دار الملك. . . فأمر المنصور بالقبض عليه وعلى ابن عمه صاحب أعمال أفريقية أبى الحسين سنة ٥٩٣ هـ، ثم رضى عنهما وأمر محمد بن عبد الملك أن يكتب بخطه كل ما أخذ له، فصرفه عليه ولم ينقص منه شيا (كذا)، وغرم له ما فات منه»[٣].

النفقات

تعددت أوجه الإنفاق فى بلاد المغرب والأندلس فى ظل دولتى المرابطين والموحدين ومن هذه النفقات: نفقات الجيش، المرتبات، نفقات البناء والتعمير، ثم المنح والهدايا سواء أموال أو إقطاعات من الأراضى الزراعية.

نفقات الجيش

كان الجيش هو أهم أجهزة الدولة المرابطية، ودعامتها الأولى، وعلى الرغم من انضواء تلك الدولة تحت لواء الدعوة الدينية الإصلاحية[٤] التى نظمها عبد الله بن ياسين،

---

(١) الحميرى: الروض المعطار ص ١٩٧.

(٢) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ٢ ص ١٦٢، المراكشى (عباس بن إبراهيم) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٨ أجزاء، جـ ٣ طبعة ١ سنة ١٩٦٣ ص ٤٠، ص ٤١، المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٣٥.

(٣) المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٣٥ ـ ص ٣٣٦.

(٤) انظر الباب الأول من الرسالة.

إلا أنها كانت دولة عسكرية نشأت فى مهاد المعارك سواء التى اضطرمت بين المرابطين أنفسهم وبين القبائل المغربية الأخرى أو التى اضطرمت بين المرابطين أيضًا وبين نصارى أسبانيا فى الأندلس واستطاعت تلك الدولة أن تبسط سلطانها على بلاد المغرب والأندلس، وأن تقيم الدولة المرابطية الكبرى[١].

واستطاعوا رفع راية الإسلام فى بلاد المغرب والأندلس وظلت هذه الجيوش تجاهد أعداء الإسلام من غير كلل ولا ملل، فسجل لها التاريخ أمجادًا عسكرية كبيرة، وقد نوه بشجاعة ومقدرة جيش المرابطين الجغرافى المؤرخ أبو عبيد البكرى، فقال: «ولهم فى قتالهم شدة وجلد ليست لغيرهم وهم يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف»[٢].

هذا وقد بذل يوسف بن تاشفين فى تنظيم الجيش المرابطى جهودًا عظيمة، حتى غدا جيشًا قويًا، مرهوب الجانب فاشترى الأنواع المختلفة من الأسلحة ليدعم بها الجيش المرابطى، يقول صاحب الحلل الموشية «وفى سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م بعث إلى الأندلس بأموال كثيرة ليشترى ما يلزمه من أنواع السلاح المختلفة»[٣].

وكانت قوة الجيش المرابطى تتكون من الفرسان، وقد بلغت فى عهد يوسف نحو مائة ألف فارس من مختلف القبائل[٤] كما أنشأ يوسف بن تاشفين فضلاً عن ذلك حرسه الخاص الأسود من عبيد الصحراء من غانة وكانوا حوالى ألفى مقاتل زودوا بأجود الأسلحة[٥]، كما أنشأ يوسف قوة كبيرة خاصة من فرسان جزولة ولمطة وزنانة سميت بالحشم[٦]، هذا بالإضافة إلى الجند الروم[٧].

(١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين القسم الأول ص ٤١٧.

(٢) ابو عبيد البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، ص ١٦٦.

(٣) مجهول: الحلل الموشية ص ٢٢ طبعة علوشى.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص ٨٩ طبعة أبسالة ١٨٤٣.

(٥) مجهول: المصدر السابق ص ١٣.

(٦) مجهول: نفس المصدر ص ٢٠.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٩٨.

وكان مرتب الجندى كما يقول صاحب الحلل الموشية خمسة دنانير فى الشهر[١]، كما كانت الدولة تكافئ الجنود بإقطاعات واسعة يستثمرونها ويتصرفون فى غلتها[٢].

وقد تابع الأمير على بن يوسف سياسة أبيه فى مواصلة الجهاد فى الأندلس، يقول صاحب الحلل الموشية: «ولم يزل أمير المسلمين على بن يوسف يوالى الحروب على أصحاب المهدى من كل جانب ويبعث لمحاربتهم الجيوش والكتائب. . . وينفق عليهم بيوت الأموال رجاء دفع دائم دائهم العضال فدامت أكثر مدته فى حروب معهم وكروب»[٣].

ولم ينس المرابطون أهمية الأسطول، ولا سيما منذ افتتحوا الأندلس، وغدت الأندلس ولاية تابعة للمغرب، فكانت لهم أساطيل فى سبتة وقادس والمرية، أشار ابن خلدون إلى أهمية أسطول المرابطين بقوله «وكان الجانب الغربى من هذا البحر لهذا العهد ـ أى عهد المرابطين ـ موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به كرة»[٤].

وعندما قامت الدولة الموحدية أولت الجيش والأسطول اهتمامًا كبيرًا فهو درعها الواقى ضد أطماع نصارى أسبانيا وهو هيبتها أمام القبائل المغربية فى بلاد المغرب، ولذا أولت الجيش اهتمامًا خاصًا واستلزم ذلك بذل الكثير من الأموال التى تنفق عليه وكانت شئون الجيش توكل إلى ديوانين أو وزارتين، الأول هو ديوان العسكر ويشرف على كل ما يتعلق بشئون الجيش[٥]، والثانى هو ديوان التمييز[٦] ومهمته اختيار الصفوة من الجند وكان

---

(١) مجهول: المصدر السابق ص ٨٢.

(٢) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص ٤١٢، انظر: الطرطوشى: سراج الملوك ص ١٢٣.

(٣) مجهول: الحلل الموشية ص ٨١، ص ٨٢.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٥٥.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ١١٤، انظر عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس ص ٦٣٨ العصر الموحدى (القسم الثانى).

(٦) كان يتولى ديوان التمييز كاتب يسمى صاحب ديوان التمييز أو كاتب العسكرية، وكان الموحدون يلجئون إلى التمييز عند العمليات الحربية، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤٦٥ هامش رقم (١).

يجرى التمييز قبيل كل غزوة أو حرب هامة، وقد أعطانا ابن صاحب الصلاة وصفًا هامًا ودقيقًا لعملية التمييز التى قام بها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عند الاستعداد للعبور إلى الأندلس سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م، يقول: «ولما كانت غرة جمادى الأخيرة من السنة المؤرخة أمر سيدنا الخليفة بتمييز للموحدين على عدد قبائلهم، ومنتهى مناولهم، وتربية صفاتهم، فامتثل ذلك وتمادى تمييزهم مدة خمسة عشر يومًا، وقسم عليهم الخيل المسومة الجياد الروقة على أعدادها المذكورة، وكذلك على العرب الوافدين وأعطى للجميع الرماح والدروع، والبيض، والسيوف، وأنعم على الجميع بما استعد به لهذه الغزوة الحافلة، من الآلات المذكورة الكاملة، على أتم النظر المبارك حتى كمل على أتم العزم والحزم، ثم أمر لهم بإعطاء البركة عن الزاد لهذه الغزاة الملكة»[١].

وكان الخليفة يجلس بنفسه ليعاين توزيع الأموال على الجنود «وجلس أمير المسلمين ـ أى يوسف بن عبد المؤمن ـ فى مجلسه العالى وأشياخ الموحدين معه وأشياخ طلبة الحضر وأشياخ العرب وأمر وزيره أبا العلاء إدريس المذكور أن يأمر الخزانين بإحضار الأموال بين يديه من الدنانير والدراهم فأحضرت أمامه وعلت أكداسًا، وجنسها من الذهب والفضة أجناسًا، وقدم الموحدين فى تنفيذ البركة لهم، فخرج للفارس الكامل منهم عشرة دنانير ولغير الكامل ثمانية دنانير وللراجل خمسة دنانير ولغير الكامل ثلاثة دنانير، وأمر للعرب ببركتهم فخرة للفارس الكامل منهم خمسة وعشرون ديناراً ولغير الكامل خمسة عشرة ديناراً والراجل سبعة دنانير وخرج لأشياخ العرب لكل شيخ خمسون ديناراً، ولكل رئيس منهم على قبيلة مائتا دينار، وكسا جميعهم بالقباطى والقمص والغفاير والعمائم»[٢] ويتضح من هذا النص مدى ضخامة الأموال والعطايا التى كانت تمنح للجيوش الموحدية بالإضافة إلى السلاح والملابس، أضف إلى ذلك المنح والعطايا التى كانت تمنح للجيوش الموحدية بعد الانتصار فى المعارك المختلفة، فنجد الخليفة عبد المؤمن بن على يأمر للموحدين بعد انتصارهم على ابن همشك أثناء غزوه لغرناطة بالأموال والعطايا، يقول ابن صاحب الصلاة: «وأتصل فى أثر هذا الفتح العظيم نظر الخليفة أمير المؤمنين ﷺ لمدينة غرناطة

(١) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤٦٥ ـ ص ٤٦٦.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤٦٦، انظر تعريف تلك الملبوسات فى الباب الثالث.

وقصبتها سنام الأندلسى، فملأ مخازنها فى القصبة بها بالقمح والشعير والملح وآلات الحرب من الرماح والدروق والسيوف والقسى والسهام والترسة بما أبهت الناظرين، وقصر عن وصف الواصفين، وأوصل أمره العزيز ذلك كله إليها من العدوة فى المراكب فى البحر إلى حصن المنكب وانتقل جميع ذلك من المنكب إلى غرناطة وتحصل فى قصبتها مخزونًا، فحييت بعد موتها بهذا النظر الجميل والحزم الموصول، والنيل المبذول، واستنقذ من كان فيها من الموحدين من علة الحصار، وبعد الانتصار، وأجزل لهم الزيادة فى بركاتهم، والنماء لهم فى مواستهم وأنعم عليهم بالإحسان إحسانًا»[١].

وبالإضافة إلى هذه الأموال والمنح كان الموحدون يوزعون ما عرف باسم المواساة وهى غلة تفرق عليهم عند تحصيل الغلال إلى المخازن[٢] ومع المواساة ما عرف باسم الإحسان وهو مبلغ من المال وكانت المواساة والإحسان تفرق من السنة إلى السنة[٣].

وإلى جانب إعداد الجيش وتجهيزه كان الإنفاق أيضًا على الأسطول، فقد اهتم الموحدون اهتمامًا كبيرًا بالأسطول وذلك لحماية شواطئ الدولة من القرصنة ونصارى أسبانيا، وقد أشار ابن خلدون إلى ضخامة الأسطول الموحدى بقوله: «ولما استفحلت دولة الموحدين فى المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد»[٤].

وهكذا كان الجيش والأسطول فى دولتى المرابطين والموحدين يستنفد جزءًا كبيرًا من دخل الدولة نظرًا لضخامة الجيوش المرابطية والموحدية واهتمامهم بها.

المرتبات

شكلت المرتبات مصدرًا آخر من مصادر نفقات المرابطين والموحدين فكان المرابطون يجرون المرتبات والأرزاق على موظفى الدولة ومن هؤلاء القضاة[٥] والفقهاء يقول ابن

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة ص ١٩٦.

(٢) العمرى: مسالك الأبصار (وصف أفريقيا) ص ١٩ تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب.

(٣) العمرى: المصدر السابق ص ١٩.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٥٥ «يذكر ابن أبى دينار القيروانى أن عدد الأسطول الموحدى وصل الى سبعمائة قطعة، انظر ابن أبى دينار: المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس ص ١١٢.

(٥) النباهى: تاريخ قضاة الأندلس ص ١٤٠، تحقيق ليفى بروفنسال.

القاضى «ورد ـ أى يوسف بن تاشفين ـ أحكام البلد إلى القضاء وأسقط ما دون الأحكام الشرعية وكان محبّا فى الفقهاء والصلحاء، ومقربًا لهم صادرًا عن رأيهم وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال»[١].

حتى إذا قامت الدولة الموحدية تعددت أنواع المرتبات فكان هناك رجال البلاط والقضاة والفقهاء والطلبة[٢]، ويذكر القلقشندى أن أشياخ الموحدين الكبار كان لهم راتب يفرق عليهم طول السنة يسمونها البركات وكان مقدارها أربعون دينارًا[٣].

أما الطلبة وهم أبناء القبائل الذين اهتم بهم الخليفة عبد المؤمن بن على حيث أعدهم إعدادًا خاصًا لتولى شئون البلاد فقد أجرى عليهم المرتبات والأرزاق من خزانة الدولة[٤].

وقد اهتم خلفاء الموحدين بعد عبد المؤمن بطلبة الموحدين فأجروا عليهم الأرزاق والمرتبات[٥].

فقد أمر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمراكش سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م الطلبة الذين بأشبيلية «أن يدفعوا للموحدين بأغرناطة من البركة ـ أى المرتبات ـ مثل ما أخذه أهل قرطبة»[٦].

كما يذكر ابن صاحب الصلاة ما ناله الناس فى مدة خلافة يوسف بن عبد المؤمن «ونال الناس معه فى إمارته وبعد ذلك فى خلافته من جميع الطبقات من الكتاب، والعمال والطلبة والقضاة والرعية بصلاح أحوالهم ونماء أموالهم ما لم يعقد مثلها فى زمان، حتى شبهها الطلبة وأهل التواريخ بأيام عثمان بن عفان رضي الله عنه»[٧].

---

(١) ابن القاضى: تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٣٢، ص ٤٣٣.

(٢) أشباح: تاريخ الأندلس جـ ٢ ص ٢٤٩.

(٣) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ١٤٠، ص ١٤١.

(٤) انظر عبد الله عنان: دولة الإسلام، عصر المرابطين قسم ١ ص ٤٠٣.

(٥) السلاوى: الاستقصا، جـ ٢ ص ١٩٨.

(٦) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٣٧٤ طبعة سنة ١٩٧٩.

(٧) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ٢٣٣.

نفقات البناء والتعمير:

اهتم المرابطون ثم الموحدون من بعدهم بالإنشاء والتعمير ونال البناء والتعمير سواء فى المغرب أو الأندلس اهتمام المرابطين والموحدين وهذه المبانى استلزمت أموالاً كثيرة، فقد اهتم المرابطون بتسوير المدن بأسوار حتى لا تكون عرضة لهجمات العدو فأصلحوا أسوار المرية وغرناطة[١] وغيرها من المدن المغربية والأندلسية كذلك اهتم الموحدون بالإنشاء والتعمير فقد أمر الخليفة عبد المؤمن بن على ببناء مدينة الفتح على جبل طارق وأنفق فى سبيل ذلك الأموال الطائلة، يقول الحميرى: «وكان أحد خلفاء بنى عبد المؤمن ـ وهو عبد المؤمن بن على ـ أمر ببناء مدينة جبل طارق، فندب إليها البنائين والنجارين وقطاع الحجر للبنيان والجيار من كل بلدة وخطت فيه المدينة، وقدم إليها من المال ما يعجز كثرة، واتخذ فيها الجامع وقصراً له، وقصوراً تجاوره للسادة بنيه وتولى العمل فى ذلك وسميت بمدينة الفتح»[٢] فأحكم البناءون فيه بناء من القصور والديار[٣].

أما الخليفة أبو يعقوب يوسف فكان مولعًا بالعمارة، محبًا لها فإليه يرجع الفضل فى بناء مدينة رباط الفتح، وعاقه الموت عن إتمامها فأتمها ابنه المنصور[٤].

وقد حظيت الأندلس باهتمام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ففى سنة ٥٦٧ هـ / ١٧٧١ م حين توجه إلى أشبيلية قام ببناء قصبة أشبيلية وجامعها الأكبر وقد استقدم لذلك

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٧٠ وما بعدها «لجأ المرابطون إلى فرض ضريبة على أهل الأندلس تسمى التعتيب وذلك لبناء أسوار جديدة للمدن وترميم المتهدم منها انظر المصدر السابق جـ ٤ نفس الصفحة، عبد الهادى شعيرة: المرابطون وتاريخهم السياسى مكتبة القاهرة الحديثة ط الأولى سنة ١٩٦٩ م.

(٢) الحميرى: الروض المعطار ص ١٢١.

(٣) «تنص بعض المصادر على أنه بالإضافة إلى القصر الخاص شيد للخليفة عبد المؤمن قصور أخرى بجوار قصر الخليفة للسادة بنيه بالإضافة إلى الجامع الذى تقام فيه الصلوات» انظر الحميرى: المصدر السابق: نفس الصفحة، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٣٢.

(٤) المراكشى: المعجب ص ٣٤١.

الغرض عرفاء أهل الأندلس[١] وعرفاء مراكش وفاس وشرع فى بنائه فى سنة ٥٦٧ هـ وتم فى سنة ٥٧١ هـ ونقلت إليه الخطبة من جامع ابن عدبس فى سنة ٥٧٧ هـ[٢]، كما أمر أن تحاط هذه القصور بمساحات واسعة من الحدائق غرس فيها الزيتون والأشجار والأعناب وقد تكلف ذلك أموالاً طائلة صرفت من خزينة الدولة[٣].

وقد تميز العصر الموحدى مع ضخامة البناء وإحكام صنعته بسرعة الإنجاز فقد أنشئت مدينة جبل الفتح فى عام[٤].

نفقات متنوعة

لم تقتصر نفقات المرابطين والموحدين على النفاقات العسكرية ومرتبات موظفى الدولة فقط، بل كانت هناك أوجه أخرى للإنفاق لجأ إليها المرابطون والموحدون ومن هؤلاء الأمراء الذين استولى المرابطون ثم الموحدون على أوطانهم، فحين قضى يوسف بن تاشفين على ملوك الطوائف واستولى على غرناطة أرسل أميرها عبد الله بن بلقين إلى أغمات بالمغرب الأقصى وقام بالإنفاق عليهم، يقول الأمير عبد الله بن بلقين فى مذكراته «وأمرنا ـ أى يوسف بن تاشفين ـ بإنزال الأمير عبد الله وابن عباد وغيرهم من أمراء الأندلس ـ أن تستوطن أغمات فأتيناها ولقينا من أمير المسلمين كل جميل، وأنزلنا بداره الصغرى فى الحريم، ولم يزل يفتقدنا مع أنعامه كيف ما هيأ الله على يديه»[٥].

---

(١) اشتهر فى كتب التاريخ الأسبانى الحديث أن اسم المهندس الذى قام ببناء الخيرالدا بأشبيلية مجهول تمامًا، وظن البعض أن الذى اضطلع بمهمة البناء فى المسجد هو جابر بن أفلح الأشبيلى، ولكن ابن صاحب الصلاة هو شاهد عيان يكشف النقاب عن المهندس العربى الكبير الذى قام ببناء جامع أشبيلية واقامة الصومعة أنه أحمد بن باسة الذى لم نر له ذكرًا فى غير ابن صاحب الصلاة، انظر ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٥٠٩ هامش رقم ٣ عن أبن باسة انظر شكيب أرسلان: الحلل السندسية ص ٢٤٠ Melchor Antuna; Sevillay susmonumento arabes, 1930. P.p 131 - 133.

(2) Melchor .op. cit. p. 130 - 138.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص ٤٩٦ ـ ص ٥٠١.

(٤) ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر، نفس الصفحات، المراكشى: المعجب ص ٣٤١.

(٥) عبد الله بن بلقين: التبيان ص ١٧١.

وفى عصر الموحدين وصف المراكشى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بأنه كان جوادًا سخيًا حيث أعطى هلال بن محمد بن مردينش صاحب شرق الأندلس اثنى عشر ألف دينار فى يوم واحد[١].

كما أقطع الموحدون ابن همشك المسئولى على غرناطة سهام أى أقطاع تسكينا له[٢].

الإدارة المالية

سبق أن أشرنا إلى أن يوسف بن تاشفين دون الدواوين وذلك بعد اتساع أعمال الدولة واستقرار الأوضاع فيها يقول ابن عذارى «فدون ـ أى يوسف بن تاشفين ـ ٤٦٤ هـ الدواوين ورتب الأجناد وطاعته البلاد[٣]، وفى عهده (أى يوسف بن تاشفين) كان مستخلص[٤] البلاد الأندلسية كلها تحت نظر ديوان واحد مركزه غرناطة[٥] وفى إمارة على االبن يوسف تعددت الدواوين فأنشئ فى كل قاعدة أندلسية ديوان[٦].

أما الذين كانوا يشتغلون بالشئون المالية فهم الكتاب والجباة، فكان الكتاب يقومون بتدوين الحسابات المالية، والجباة كانوا يقومون بجبايتها، وقد ذكر كل من ابن الأثير والنويرى أن جباة الأموال فى عهد على بن يوسف كانوا من الفرنج والروم[٧].

وقد حرص الموحدون على تنظيم أعمال الجباية وحفظ الأموال، ففى ديوان الجباية كتاب فى جميع جهات الولاية الواحدة يقيدون المتحصل ويضبطونه ويرفعونه إلى الخليفة

---

(١) المراكشى: المعجب ص ٣٢٧، ص ٣٢٨.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ٣٠٢، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ٤١٢.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٢٣ تحقيق إحسان عباس .

(٤) المستخلص: المراد به الأملاك السلطانية الخاصة التى يرجع ريعها إلى خزانته الخاصة.

(٥) ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ ٢ ص ١١٧.

(٦) ابن عذارى: البيان جـ ٤ ص ٧٤.

(٧) النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ٢٢ مجلد ٢ ص ٨٥ مخطوط، محقق جـ ٢٤ ص ٢٨٢، تحقيق حسين نصار، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ٨ ص ٢٩٦، مجهول: الحلل الموشية ص ٨٤، ص ٨٥.

فيختمه بخاتمه مما ييسر محاسبة العمال على أعمالهم فلا يتعدون على الناس وينهبون أموال الدولة وإن فعلوا عوقبوا[١].

هذا وقد سار الموحدون على سياسة مراقبة المشتغلين بالشئون المالية وذلك بعد أن اكتشف الخليفة عبد المؤمن بعض مظاهر الفساد المالى فى البلاد، فبعض الجباة والعمال كانوا يفرضون على الناس المغارم والمكوس ويدعون أنها للمخزن وقد تعرض التجار للضرائب الباهظة من قبل عمال الجباية الذين كانوا يدعون أنها تخص الدولة «وإن من ذلك الرأى الزميم والسعى المنقوم ما ذكر لنا فى أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها والطوائف المارة على البلاد لمعنى التجارة، ينسب إليهم قوم من هؤلاء الظلمة الدخلاء الذين يضعون الغش فيما يوهمون به النصيحة ويستنبطون المكر فى تصرفاتهم القبيحة، فيقولون للرجل منهم عندك من حقوق الله كيت وكيت وإن للمخزن جميع ما به أتيت ويقرنون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج عن جملة ماله، ويعتقد السلامة من ذلك الظالم الغاصب أعظم منا له وإنها لداهية عاقرة قاصمة للظهر فاقرة»[٢] وتابع الموحدون سياسة الخليفة عبد المؤمن فى محاسبة المشرفين على الأمور المالية على سوء تصرفاتهم فى النواحى المالية[٣].

وقد أطلق على من يتولى جباية الأموال اسم صاحب الأعمال فى عصر المرابطين[٤]

---

(١) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ١٦٢، ص ٢٠٥، جـ ١ ص ٢٤٩، ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ١١٠، المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٣٥، ص ٢٣٦، الذيل والتكملة جـ ٤ ص ٢١٤.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان ص ١٥٧، ص ١٥٨.

(٣) انظر محاسبة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن لعامل الجباية فى غرناطة أبى عمر بن أفلح فى ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) ص ١١٠، ومحاسبته يمكن لمحمد بن عبد الملك بن سعيد عاملا الجباية أيضا فى غرناطة فى (المغرب جـ ٢ ص ١٦٢، المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٣٥، ص ٢٣٦).

(٤) محمود على مكى «وثائق تاريخية جديدة» ص ١٨٣ ـ ص ١٨٥.

والموحدين[١] وأحيانا أطلق عليه اسم المشرف[٢]، ويذكر ابن خلدون أن الموحدين أطلقوا على تلك الوظيفة أيضا اسم «صاحب الأشغال»[٣] وقد أشار المقرى إلى تلك الوظيفة بقوله «وصاحب الأشغال الخراجية فى الأندلس أعظم من الوزير، وأكثر أتباعا وأصحابا وأجدى منفعة، فإليه تميل الأعناق، ونحوه تحد الأكف، والأعمال مضبوطة بالشهود النظار، ومع هذا إن تأثلت حالته واغتر بكثرة البناء والاكتساب نكب وصودر، وهذا راجع إلى تقلب الأحوال وكيفية السلطان»[٤].

ومن عمال الجباية الذين تولوا الإشراف على الأموال وجباياتها فى إقليم غرناطة فى العصر المرابطى، عيسى بن الوكيل[٥] ومحمد بن سعيد الغرناطى[٦] وعبد الملك بن سعيد الغرناطى[٧] يقول ابن سعيد: «وكان مُقَدمًا عند يحيى بن غانية فى مدة الملثمين، ثم ولاه بنو عبد المؤمن أعمال أشبيلية وغرناطة وسلا»[٨] وفى مدينة المرية تولى أعمال الجباية يزيد ابن طبقلاب[٩]، وقد تولى أعمال المرية فى عهد المنصور الموحدى.

---

(١) البيذق: أخبار المهدى ص ٦٥، ص ١٠١، ابن عذارى: جـ ٤ قسم ٣ القسم الموحدى ص ١٧، ص ١٩، ص ١١٢، ص ١٤٠، ابن سعيد: المغرب جـ ١ ص ٢٤٩، جـ ٢ ص ١٦٣، ابن الأبار الحلة السيراء ص ٢٣٥، ص ٢٣٦، المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٢٣٥، ص ٢٣٦.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٨٢ المشرف بالأسبانية †Almojorifeكان هو الذى يتوصل بكل الواجبات والحقوق اللازمة عند الإيرادات والإصدار للسلع فهو بمثابة المفتش العام للديوانية «انظر المن بالإمامة هامش ٣ ص ١٨٢ وانظر †Dozy: Recherches page 381كان ابن دهرى صهراً لابن زيد مشرف غرناطة وقد استطاع أن يجمع حوله طائفة من اليهود المتظاهريه بالإسلام وعليهم اعتمد ابن همشك فى التآمر على غرناطة ومحاولة الإجهاز علىَ الموحدين» انظر ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق ص ١٨١ هامش (٥).

(٣) ابن خلدون: العبر جـ ١ ص ٢٤٥.

(٤) المقرى: نفح الطيب جـ ١ ص ٢١٧.

(٥) الحميرى: الروض المعطار ص ١٩٧.

(٦) يذكر ابن سعيد أنه كان صاحب أعمال غرناطة فى مدة الملثمين، انظر عنه المقرى: نفح الطيب جـ ٣ ص ٦١ ط سنة ١٩٦٨ ـ بيروت تحقيق إحسان عباس.

(٧) المقرى: نفح الطيب جـ ٢ ص ٣٣٧ طبعة بيروت يذكر المقرى أنه كان وزيرا جليلا بعيد الصيت عالى الذكر رفيع الهمة كثير الأموال، انظر: المقرى: المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٣٥ ـ ص ٣٣٧ طبعة بيروت.

(٨) ابن سعيد: المغرب جـ ٢ ص ١٦٣.

(٩) ابن سعيد: المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٠٦.

أما فى عـهد الناصر فـقد تولى محـمد بن عبـد الرحمن الغـرناطى أعمال الجـباية من غرناطة[١]، أما مدينة مـالقة فقد تولىَ أعمـال الجباية فيها فى عـهد الناصر الفقيـه أبو عامر محمد بن حسون[٢] وأبو على بن يبقى[٣].

وقد كـانت هذه الأموال تجـبى سنويًا، فقـد أشار ابن خلكان والنوبرى إلى أن جـباة الأموال كانوا يصعدون إلى الجبل كل عام لجباية الأموال[٤].

السكة[٥]

تسهم العملة فى إعطائنا صورة صادقة عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية للدولة، فهى تدل على مدى قوة الدولة أو ضعفها سياسيًا واقتـصاديًا ويؤكد حسن أحمد محمود فى كتابه قيام دولة المـرابطين هذا حيث يقول «إن التجـارة الدولية فى عهد المـرابطين، بلغت شأنًا عظيـما، وازداد إقـبال أوربا على تجـارة المغـرب، وليس أدل على ذلك من شيـوع الثـقة بالدينار المرابطى[٦] حتى لـقد قيل إن الـدينار المرابطى وصل إلى القـسطنطينيـة، وكاد أن يصبح عملة دولية[٧].

كذلك كانت الـعملة نوعًا من أنواع تأكيـد السيادة السياسـية على الدولة[٨]، فقد اتخذ المرابطون النقود وذلك لتأكيـد سلطانهم السياسى على البلاد[٩] يقول ابن عذارى «وضرب

(١) ابن الخطيب: الإحاطة (مخطوط الرباط رقم ٢٧٠٤ك) ورقة ٦٥.

(٢) عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصـلة السفر الرابع تحقيق إحسان عباس ص ٢١٤.

(٣) ابن سعيد المغرب جـ ١ ص ٢٤٩.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٤ ص ١٤٢ طبعة أولى سنه ١٩٤٨ م ستة أجزاء النهضة لمصرية، النويرى: نهاية الأرب مخطوط جـ ٢٢ ص ٨٥، مطبوع جـ ٢٤ ص ٢٨٢ تحقيق حسين نصار.

(٥) «السكة هى الحـديدة يطبع عليهـا الدينار والدرهم فـسميت سكة بها الدنانيـر والدراهم» انظر ابن يوسف الحكيم: الدوحة المـشتبكة ص ٤٧، مجلة معـهد الدراسات الإسلامـية مدريد سنة ١٩٥٨ مجلد ٢، تحقيق حسين مؤنس طبعة سنة ١٩٦٠، ص ٤٩.

(٦) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين: ص ٤٠٣.

(6) Nevill Barbour: Moroco P. 59.

(7) Laviox: Catalogue des Monnaies Musulmanes P.

(٨) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٢٢ طبعة بيروت تحقيق إحسان عباس.

(٩) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٢.

الدينار الذهبى باسم الأمير أبى بكر بن عمر فى هذا العام[١]، وبالإضافة للدينار الذهبى ضرب المرابطون الدراهم الفضية فى جميع دولتهم وكانت متفاوتة فى الوزن[٢]، كذلك ضربوا دراهم نحاسية[٣].

هذا وقد استخدم أهل الأندلس عامة وأهل غرناطة خاصة الدينار المرابطى «وديارهم لم تخلص للمرابطين بعد»[٤].

قد ضرب يوسف بن تاشفين عملة مدورة الشكل وقد كتب عليها اسمه وذلك فى سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ م)[٥] وقد وصف لنا ابن المؤقت فى كتابه السعادة الأبدية شكل العملة المرابطية بقولة «وضرب ـ أى يوسف بن تاشفين ـ السكة يؤمئذ وجددها ونقش فى دينارة لا إله إلا الله محمد رسول الله وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكتب فى الدائرة ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وكتب فى الصفحة الأخرى: الأمير عبد الله العباسى، وفى الدائرة تاريخ ضربه»[٦] وكتب فى الوجه الآخر الأمير عبد الله أمير المؤمنين العباسى، وفى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكته[٧].

وقد تفاوت سعر الدينار الذهبى باختلاف أسعار الذهب من وقت لآخر، فقد يصرف

---

(١) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ نفس الصفحة «وبعد الزلاقة ضرب يوسف بن تاشفين العملة باسمه وحده» انظر ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٦.

(2) Lavoix, H., Catalogue de monnoies muslumones, pp. 536.

(٣) الونشريشى: المعيار جـ ٦ ص ١١٧.

(٤) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله (التبيان) ص ١١٥.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٤٦، السلاوى الاستقصا جـ ٢ ص ٣٢ كان الدينار المرابطى يحمل التاريخ الهجرى لسنة السك واسم على بن يوسف أمير المؤمنين مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله واسم أمير المؤمنين المرابطى والإمام عبد الله أو الإمام العباسى وسورة من القرآن.

Lavoix, M. Henri, Catalogue. P.

(٦) ابن المؤقت: السعادة الأبدية جـ ٢ ص ٩٠، انظر أيضا ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٤٦.

(٧) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٤٦.

باثنتين وسبعين حبة من الذهب وفى وقت آخر يصرف باثنتين وسبعين حبة من الذهب وفى بعض الأحيان يصرف بستة وسبعين حبة[١].

كذلك ضرب المرابطون الدراهم الفضية وكانت متفاوتة فى الوزن[٢] فدراهم ضرب مراكش تكون من حساب عشرين درهما فى الأوقية أما فى غرناطة فكانت هذه الدراهم من حساب سبعين درهما فى الأوقية[٣] ومن الدرهم كانوا يضربون أنصافا وأرباعا وأثمانا، أو تضرب منه وحدات تعرف بالقواريط و الخراريب[٤].

هذا وقد تعددت دور سك العملة فى عصر المرابطين والموحدين فابن عذارى أشار إلى أن يوسف بن تاشفين بنى دارا للسكة بمراكش سنة ٦٤٤ هـ / ١٠٧١ م ضرب فيها السكة[٥].

وقد جرى سك العملة فى المغرب كما كان الحال عليه فى المشرق فلم تكن السكة قاصرة على العاصمة أو على بلد واحد، بل كانت تضرب فى كثير من الحواضر، فقد سكت النقود فى فاس وتلمسان وبجاية وتينمل ومكناس وتونس وأغمات وتطوان وسجلماسة ومراكش ونكور وسلا وطرابلس، أما فى بلاد الأندلس فقد سكت عملات فى ميورقة ومالقة ومرية وقرطبة وأشبيلية وغرناطة وبلنسية وشريس ومنورقة وسرقس وكانت العملات تنسب إلى البلاد التى سكت فيها[٦].

ويذكر ابن الخطيب فى حديثه عن العملة فى غرناطة «وصرفهم فضة خالصة، وذهب إبريز طيب محفوظ ودرهم مربع الشكل من وزن المهدى القائم بدولة الموحدين»[٧] وفى الأوقية منه سبعون درهما[٨].

---

(١) الونشريشى: المعيار جـ ٨ ص ١٩٧.

(2) Lavoix, H. catalogue p.p 536.

(٣) الونشريشى: المعيار جـ ٦ ص ٣١٠، ص ٣١٧.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب جـ ٤ ص ٤٣، ابن الخطيب أعمال الأعلام ط ليفى بروفنسال ص ١٧٤.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٢.

(6) Lavoix, Catalogue p. 536 - 544.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة جـ ١ ص ١٣٧.

(٨) ابن الخطيب: المصدر السابق جـ ١ ص ١٣٨.

أما الدولة الموحدية فقد كانت عملتها من الدنانير والدراهم، يقول ابن خلدون: «ولما جاءت دولة الموحدين كان ممن سن لهم المهدى اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وأن يرسم فى دائرة الدينار شكل مربع فى وسطه ويملأ من أحد الجانبين تهليلاً وتحميداً ومن الجانب الآخر كتبا فى السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده، ففعل ذلك الموحدون»[١] ويذكر صاحب ضوابط دار السكة بقوله «ولكن ليس من الثابت أن العملة المربعة (المركنة) من ابتكارات أبى عبد الله محمد بن تومرت مهدى الموحدين، وهو نفسه لم يضرب نقوداً، إذ لم يكن بخليفة أو أمير، وأول من ضرب عملة مربعة الشكل، هو عبد المؤمن بن على أول الخلفاء الموحدين»[٢] ولم يقتصر تربيع العملة على الدراهم بل تعداه إلى الدنانير[٣]، وكان الدينار الموحدى ضعف الدينار العادى فى الوزن، ولهذا عرف باسم †dobla عند النصارى[٤]، كذلك وجدت العملة اليوسفية المنسوبة إلى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[٥] ويذكر صاحب ضوابط دار السكة أن الناس كانوا يتعاملون بكل

---

(١) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٦٢ كانت عملة الموحدين عبارة عن حفر مستطيل داخل دائرة مكتوب بداخلها الإمام المهدى وسوره من القرآن واسم الخليفة واللقب الشرفى ونسبه ومكان السك وكانوا لا يكتبون تاريخ السك فى الأول. Lavoix. Ibid.

(٢) على بن يوسف الحكيم: ضوابط دار السكة ص ٤٩ «كانت العملة كلها قبل ظهور الموحدين مدورة الشكل» انظر المصدر السابق، نفس الصفحة هامش رقم ١.

(٣) على بن يوسف الحكيم نفس الصفحة هامش رقم ١.

(٤) حيث ضاعف المنصور الموحدى وزن عيار العملة، انظر ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٤ قسم ٣ (القسم الموحدى) تحقيق هويتى ميراند انطوان سنة ١٩٦٠ ص ١٥٤ يرى مؤنس أن الدينار الموحدى كان يساوى ٢ر٣٥ غراما ولما ضاعفه المنصور أصبح يساوى ٤ر٧٠ غراما انظر ضوابط دار السكة ص ٤٩.

يرى ماسينون أنه كان ٤ر٧٢٩ غراماً انظر Massignon, le Moroc p.p 102 - 103

(٤) وجدت عملات موحدية فى مدن عديدة من فرنسا مثل مونبليه ومرسليا، كتب عليها الله ربنا ـ محمد رسولنا ـ المهدى إمامنا ـ وهى مصنوعة من الفضة وثبت أن هذه العملة هى الدرهم المصمودى، كذلك استخدمت العملة الموحدية فى إبرام المعاهدات التجارية التى عقدت بين بيزة وفلورنسا وأمراء المغرب انظر Lavoix. Ibid. p. V 11, V 111

(٥) ابن سعيد الصفاقس: نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار تونس ١٣٢١ هـ ـ جـ ١ ص ١٨٢، ص ١٨٣، الزركلى فهرس الأعلام جـ ٣ ١١٨٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ ص ١٣٠، العينى: عقد الجمان جـ ١ قسم ١ ص ١٣.

سكة منها إلى أن صار التعامل فى الدراهم على وزن الدراهم اليعقوبية[١]، كذلك تنسب الدنانير اليعقوبية إلى الخليفة يعقوب المنصور الموحدى[٢].

وقد انتشرت فى الأسواق ظاهرة غش العملة وخاصة فى عصر الموحدين ولا يكون الغش بتقليد العملة فقط بل عادةِ ما يكون بإضافة معادن رخيصة إلى فضتها[٣]، وامتد هذا الغش فشمل نصارى أسبانيا فكانوا يزورون العملة الموحدية أيضا[٤].

ولم تكن العملة هى وسيلة التعامل الوحيدة فى بلاد المغرب والأندلس، فقد وجدت إلى جانب العملة السفاتج[٥] والصكوك[٦] وهى من وسائل المعاملات الهامة فى ذلك الوقت ولقد استخدم التجار الأندلسيون والمغاربة فى معاملتهم التجارية السفاتج والصكوك وذلك ضمانًا لإتمام العمليات التجارية وتسهيلها وكانت السفاتج والصكوك تتخذ لتجنب الضياع والسرقة وقد استخدمت الصكوك فى المعاملات التجارية كدفع الديون[٧] وفى أعمال البيع المختلفة.

أما الموازين والمكاييل فقد استعملها الأندلسيون والمغاربة على السواء فى معاملتهم التجارية، وكانت وحدة الوزن فى بلاد المغرب والأندلس هى القنطار والرطل والأوقية والدرهم وكان الرطل يحتوى على ١٦ أوقية وكل أوقية ٢١ درهما[٨].

وقد اختلفت قيمة الوزن حسب نوع السلعة[٩]، كذلك اختلفت الأوزان باختلاف

(١) أبو الحسن، الدوحة المشتبكة ص ١٥، انظر هنا: ابن سعيد: نزهة الأنظار جـ ١ ص ١٨٦.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ ص ١٢ وكان أعلى وزن وصل إليه الدينار ٤ر٦٧ جرام ضرب فى عهد الخليفة المستنصر بالله فى مدينة فاس Lavoix: Ibid. P. 305 - 306 أما أعلى وزن للدرهم المصمودى الفضى فكان ٢ر٣١ جرام Laviox: Ibid. P. 301

(3) Bel, A., Contribution a l'etude des dirhems. Hesperis 1933, tom x v. t, P.5

(4) Bel. op. cit. p.7

(٥) السفاتج كلمة فارسية مفردها سفتجة ومعناها خطاب ضمان مالى انظر «جمال سرور» تاريخ الحضارة الإسلامية فى المشرق ص ١٦٣.

(٦) أما الصك فمعناها سند الدين وهى تشبه فى الوقت الحاضر الكمبيالة أو الشيك، انظر محمد على حيدر: الأوضاع الاقتصادية فى العراق والمشرق ص ٢٨٦.

(٧) مصطفى الهمشرى: الأعمال المصرفية فى الإسلام ص ٢١، ص ٢٢.

(٨) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ١١٤، ص ١٧٧.

(٩) الشيزرى: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٥.

المكان «فكان لكل إقليم وبلد فى المعاملة على أرطال تتضاءل فى الزيادة والنقصان»[١] فمثلا اللحم كان يباع بالرطل فى إقليم غرناطة[٢] كما كانت جميع السلع المختلفة تباع بالأواق[٣]، فقد استخدمت الأوقية فى إقليم غرناطة فكانت ربع أوقية الجبنة بستة عشر درهما[٤]، أما الخبز فكان ١٥ أوقية بربع درهم[٥].

أما المكاييل فهى نوعان، الأول يسمى القفيز ويساوى ١٦ ويبية وكل ويبية ١٢ مدّا[٦] والثانى يسمى الصحفة أو الوسق وكل صحفة تساوى ١٢ مدّا وكانت الصحفة تساوى ٦٠ صاعًا[٧]، فكان المد يعادل خمسة صاعات[٨].

هذا ولم تبذل دولتا المرابطين والموحدين جهدًا لتوحيد هذه الموازين والمكاييل لذلك استغل التجار فوضى الموازين والمكاييل فى أواخر العصر المرابطى استغلالاً أضر بمصلحة المستهلك، فكانوا يغشون فى مقاديرها أو يستعملون الحجارة بدلا عن صنج حديد حتى أن كتب الحسبة فى هذه الفترة لتزخر بالأمثال عن أساليب التجار هذه وتقترح قطع كل ذلك وأن يسم الأكيال والموازين باسم معلوم عنده[٩].

---

(١) البكرى: المغرب ص ١١٧.

(٢) انظر رسالة السقطى ص ٣١.

(٣) عن اخلاف الموازين والمكاييل انظر: السقطى: رسالة فى الحسبة باب الموازين والمكاييل.

(٤) السقطى: فى أدب الحسبة ص ٣١.

(٥) السقطى: المصدر السابق ص ٢٨.

(٦) المد: كيل معين اختلفت سعته فى العالم الإسلامى حسب الأمكنة والعصور والمذاهب انظر: أبو الحسن على ابن يوسف: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة نشر مؤنس ص ٨٥، ص ٨٦ طبعة مدريد سنة ١٩٨٥، سنة ١٩٦٠.

(٧) أبو الحسن: المصدر السابق ص ٨٥ طبعة سنة ١٩٥٨، ص ٨٦ طبعة سنه ١٩٦٠.

(٨) القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٥ ص ١١٤.

(٩) انظر رسالة السقطى: ص ١٠، ص ١٢، ص ١٣، ص ١٦، ص ١٨ ورسالة ابن عبد الرءوف ص ٨٨، ص ١٠٦.